Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 4, Issue 1 (2025) • P: 131 - 113
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

American Interconnected Text Theory: A Critical View of Western Reception

Prof. Brahim Amri Mohamed
The polydisciplinary Faculty of Taza | University of Sidi Mohamed Ben Abdellah | Morocco

Received: 09/12/2024
Revised: 21/12/2024
Accepted: 13/01/2025
Published: 15/03/2025

* Corresponding author: Brahim.amri@usmba.ac.ma

Citation: Mohamed, B. A. (2025). American Interconnected Text Theory: A Critical View of Western Reception. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 4*(1), 113 – 131. https://doi.org/10.26389/AJSRP.W121224

2025 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: The encounter between literature and digital technology at the beginning of the third millennium raised a number of issues and raised new questions with a different vision and perspective. But credit goes to the American school, which was the first to present the first theoretical conception of hypertext by Jay D. Boiter, George Landow, Michael Joyce, Stuart Moulthrop, and J. Y. Douglas. This perception can be summarized in what has come to be called the "Theorie de la convergence" theory. In this study, we will attempt to present with a critical view the various opinions of its early critics who accompanied its spread from Europe, Canada, and America, and criticized some of its sayings, trying to address the debate its perceptions and positions raised in the critical arena. We made sure to track a descriptive, comparative approach in the first stage, and a comparative analytical approach in the second stage. The article is not a criticism of the opinions of Western scholars of convergence theory, but rather a criticism of its various criticisms. Therefore, it seemed to us that this dual approach, which initially reviews the opinions objectively, and then analyzes these critical opinions secondly from a critical perspective, is the most appropriate in such cases. The purpose of this is to present the first theory of interconnected text to the Arab reader from its original sources, but from a perspective that is not devoid of a critical sense that gives consideration to its authors first, and does justice to its critics second.

Keywords: convergence theory, connected text, interactivity, ending, link. Landow.

نظرية النص المترابط الأمريكية: رؤية نقدية للتلقي الغربي

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عمري محمد
الكلية متعددة التخصصات بتازة | جامعة سيدي محمد بن عبد الله | المغرب

المستخلص: أثار لقاء الأدب بالتكنولوجيا الرقمية مع مطلع الألفية الثالثة عدداً من القضايا، وطرح أسئلة جديدة برؤية ومنظور مغايرين. لكن الفضل يرجع إلى المدرسة الأمريكية التي كانت سباقة إلى تقديم أول تصور نظري للنص المترابط "Hypertexte" على يد كل من (Jay D. Boiter) و(George Landow) و(Michael Joyce) و(Stuart Moulthrop) و(J.Y. Douglas). ويمكن اختصار هذا التصور في ما بات يسمى بنظرية التقارب "Théorie de la convergence". وسنحاول في هذه الدراسة أن نقدم برؤية نقدية مختلف آراء نقادها الأوائل الذين واكبوا انتشارها من أوربا وكندا وأمريكا، وانتقدوا بعض مقولاتها محاولين التصدي لما أثارته تصوراتها ومواقفها من نقاش في الساحة النقدية. وقد حرصنا على تتبع منهج وصفي مقارن في المرحلة الأولى، وتحليلي مقارن في المرحلة الثانية. فالمقال ليس نقداً لآراء الدارسين الغربيين لنظرية التقارب، وإنما هو نقد لنقودها المختلفة، ولذلك بدا لنا أن هذا المنهج المزدوج الذي يستعرض الآراء في البداية بشكل موضوعي، ثم يحلل هذه الآراء النقدية ثانياً من منظور نقدي هو الأنسب في مثل هذه الحالات. والغاية من ذلك هي تقديم أول نظرية للنص المترابط للقارئ العربي من مصادرها الأصلية، ولكن من منظور لا يخلو من حس نقدي يرد الاعتبار لأصحابها أولاً، وينصف نقادها ثانياً.

الكلمات المفتاحية: نظرية التقارب، النص المترابط، التفاعلية، النهاية، الرابط. Landow.

تمهيد

أثار لقاء الأدب بالتكنولوجيا الرقمية مع مطلع الألفية الثالثة عدداً من القضايا التي شكلت تحدياً لنظرية الأدب، ولكثير من مسلماتها ومفاهيمها الممتدة في الزمن وفي الإرث النظري والنقدي، وكان له فضل طرح أسئلة جديدة برؤية ومنظور مغايرين. لكن الفضل الحقيقي يعود أساساً إلى المدرسة الأمريكية التي كانت سباقة إلى تقديم أول تصور نظري للنص المترابط "Hypertexte" منذ منتصف ثمانينيات القرن الماضي. ويمكن اختصار هذا التصور في ما بات يسمى بنظرية التقارب "Théorie de la convergence". وسنقدم في هذه الدراسة مختلف آراء النقاد الأوائل الذين واكبوا انتشارها من أوربا وكندا وأمريكا، وانتقدوا بعض مقولاتها، وسعوا بكل الوسائل إلى التقليل من قيمتها والتشكيك في جدّة بعض مفاهيمها. غير أننا لا نكتفي باستعراض هذه الآراء التي يمكن تصنيفها ضمن دائرة النقد النظري، وتحديداً نقد نظرية النص المترابط، وإنما سنحاول إبداء موقفنا النقدي تجاه هذه النقود المتباينة، وما أثارته تصوراتها ومواقفها من نقاش في الساحة النقدية. والغاية في نهاية المطاف هي تقديم جهود هؤلاء للقارئ العربي من مصادرها الأصلية، ولكن من منظور لا يخلو من حس نقدي يرد الاعتبار لأصحابها أولاً، وينصف نقادها ثانياً. فالنص المترابط بصفة خاصة والرقمي بصفة عامة، ما لم يُدرَك في بعده الفكري والفلسفي الذي كان وراء نشأته الأولى، ويصير ممارسة واعية وتقليداً وطقساً يتخللان حياة المثقف والمتعلم، فستظلّ استخداماته في ثقافتنا دون توقعاتنا.

يتجلى فضل هذه النظرية في تقديمها نظرية متكاملة لهذا النص، وفتح النقاش على مصراعيه خارج دائرة مختبرات المعلوماتيين، ليصبح موضوع انشغال الأدباء والنقاد. غير أن سياقنا الحالي يقتضي استحضار خصوصية النص المترابط ذاته باعتباره مفهوماً هجيناً يتأرجح بين حدّي الامتداد والقطيعة، أي بين كونه تصوراً فكرياً من جهة، وكونه منتجاً تكنولوجياً من جهة ثانية. وتشكل هذه الفكرة في اعتقادنا المدخل الصحيح لفهم طابعه الإشكالي، وأسباب تشعب صوره، وتباين مواقف المنظرين حول استخداماته الأدبية. وتجدر الإشارة إلى أن اختيار هذه التصورات النظرية للمفهوم لم يكن اعتباطياً، فهو البداية الطبيعية لفهم جل الكتابات اللاحقة حوله. إن طريقة تصوره هي ما سيحدد الأساس النظري لباقي القضايا الأخرى التي هي اليوم موضوع نقاش مستفيض ينذر بتحولات كبرى ستمس، شئنا أم أبينا، مقولات نظرية الأدب.

نكتفي في الوقت الراهن باعتبار نظرية التقارب مجموعة من التصورات الناشئة بداية تسعينيات القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية أو قبلها بقليل. وقد تزامن ظهورها مع الأعمال الترابطية الأولى أو النصوص الرقمية التجريبية التي ظهرت في الأوساط الأكاديمية قبل ذلك ببضع سنوات. وكان رواد هذه التصورات يتحلقون حول المكتبة الرقمية "Eastgate systems" ومنهم: (Jay D. Boiter) و(George Landow) و(Michael Joyce) و(Stuart Moulthrop) و(J.Y. Douglas). ويبدو أن السبب وراء نعتها بهذا الاسم يكمن في سعيها إلى إحلال نوع من التقارب وربما التماثل بين مختلف مظاهر النص المترابط من جهة، والأفكار التي نادى بها البنيويون الجدد والتفكيكيون من جهة ثانية. واعتبر بعض النقاد الأمريكيين النص المترابط تجسيداً لما جاء على لسان نظرائهم الأوروبيين الذين يمثلون النظرية الفرنسية (French Theory). والمقصود هنا هو أن النص على السند الإلكتروني سيحقق فعلياً مجموعة من مقولات نظرية الأدب الحديثة، خاصة تفكيكية (Derrida)، وتناص (Kristeva) و(Bakhtine)، وثنائية النص المنكتب والنص المنقرئ، وفعل القراءة تحديداً عند (Barthes)، ومفهوم الجذمور عند كل من (Deleuze) و(Guattari). وعموماً تعددية النص ولا مركزيته وانفتاحه اللامحدود.

يشكل النص المترابط إذن مناسبة لتحقيق تقارب بين التكنولوجيا ونظرية الأدب ممثلة على وجه التحديد في المدرسة الفرنسية، والمساهمة في تأسيس ما يمكن نعته بشعرية الكتابة المقطعية أو الشذرية. غير أن هذا التصور لم يكن نظرياً صرفاً بل تسلل إلى الإبداع الأدبي ووسمه بخصائص ظل إدراكها في البداية حكراً على الأوساط الأكاديمية، ولذلك ستتعرض هذه النظرية لكثير من التجاذبات بين مؤيدين ومعارضين. لكن قراءتنا لبعض المساهمات النقدية الغربية ستفضي إلى بناء رؤية مغايرة نسبياً وتتمثل في تحقيق هذه الجهود الملتفة حول النص المترابط استمرارية مفهومية وقطيعة تقنية في الآن نفسه. وبغض النظر عن الأسباب الحقيقية وراء هذا التقارب، هل هو مقصود أم أقرب إلى الصدفة، فإن تشابه بعض الأفكار يغري فعلاً بالمقارنة كما سنرى لاحقاً.

1. بين الامتداد والقطيعة

يظهر (George Landow, 1992) حماساً واضحاً في تأكيده فكرة تجسيد النص الرقمي لبعض تصورات ما بعد البنيويين والتفكيكيين، بل إن هؤلاء يعرّفون، في نظره، النص على نحو مشابه لاستعمال مفهوم النص المترابط اليوم. وقد شكل هذا الموضوع كما هو معلوم محور تأملاته التي سيطلق عليها نظرية التقارب مع مطلع تسعينات القرن الماضي.

إن النقاد الأمريكيين الذين اهتموا بالنص المترابط وباستخداماته الأدبية إلى حد المساهمة في تصميم أولى البرمجيات المعلوماتية المستخدمة بقوة في التجارب الإبداعية الأولى وعلى رأسهم (Landow) و(Bolter)، سيعتبرون هذا النص "مناسبة لتحقيق تقارب بين التكنولوجيا ونظريات الأدب ممثلة على وجه التحديد في ما بعد البنيوية" (Giffard, 1997, p.109)، كما وجدوا في تلك الأطروحات النظرية الفرنسية الأفكار التي شكلت مرجعاً لتوجهاتهم الفنية والتقنية على السواء. إن ما كان يشغل بال (Landow) أكثر من أي شيء آخر هو تلك الجسور الممتدة بين نظريات هؤلاء المنتمين إلى دائرة النقد الفرنسي تحديداً من جهة، والنص الرقمي مثلما جرى تحديده في مجال المعلوميات من جهة ثانية (Marcotte, S, 2000). ولا يتردد هذا المفكر الأمريكي المخضرم في الانطلاق من فرضية اشتراك النص الرقمي في كثير من مظاهره

مع نظرية الأدب المعاصرة. وإمعاناً في تأكيد هذه الجسور الممتدة بين تطلعات البنيويين الجدد ومفهوم النص الرقمي، تذهب (Sophie Marcotte) الباحثة في جامعة كونكورديا بمونتريال الكندية إلى أن السبب وراء هذا اللقاء أو التقاطع بين صورة "الشبكة" المعتبرة أحد أسس نظرية النص الرقمي من جهة، وفكرة العلاقات البينية والتبادل المعتبرة أيضاً أس الفكر البنيوي ومشروعه النظري من جهة ثانية، راجع بالأساس إلى كون مؤيدي هذا الفكر يعتبرون الفكر الإنساني ذاته شبكة، ففيهما معاً تكاد تنعدم نواة مركزية بقدر ما أن حدودهما تظل منفتحة. ويستنتج (Serge Bouchardon) في نفس السياق أن (Landow) يفترض وجود روابط وثيقة بين مفهوم النص الرقمي ونظرية الأدب، بل إن هذا النص يبدو وكأنه يجسد ويحقق ما نظّر له بعض البنيويين ثم ما بعد البنيويين (Bouchardon, 2012, p.15).

ستتعرض نظرية التقارب هذه لمجموعة من الانتقادات لعل أبرزها طابعها التجريدي الصرف من جهة، وسعيها المبالغ فيه أحياناً إلى المطابقة بين مفاهيم تلك نظرية سابقة على ظهور التكنولوجيا الرقمية بمعناها المعاصر، وخصائص هذا النص الجديد من جهة أخرى (عمري، 2024، ص.156). إن انطلاق هؤلاء الباحثين الأمريكيين، الذين لا تخلو تصوراتهم من نزعة تجريبية، من معارضة صارمة بين انفتاح النص الرقمي وحركيته وتعدده ولاخطيته، وانغلاق النص المطبوع وثباته وأحاديته وخطيته، قد حدد وجهة تفكيرهم نحو بعض الخصائص وصرفهم عن بعضها كما قال (Jeanneret, 2005.) في أحد حواراته الشيقة حين استعرض مشرعه حول سيميوطيقا الكتابة. لكن أحد أفضال نظرية (Landow) في المقابل هو لفت انتباه الباحثين منذ وقت مبكر إلى خصائص النص الرقمي وقدرته على إعادة تشكيل النص. ولعل اعتباره هذا النص امتداداً للنظريات الطليعية وانخراطاً في حركة النقد الجديد، هو الذي شجع بقوة على قبول هذا الأدب الجديد في الوسط الأمريكي في مرحلة أولى، وفي توطيد العلاقة بين الأدباء والمعلوماتيين بعد ذلك. إن توطيد هذه العلاقة، منذ (Ted Nelson) إلى (Landow) سيسمح باستثمار الأدباء والمبدعين مختلف الإمكانيات التي يزخر بها الجهاز الرقمي في ابتكار أشكال إبداعية جديدة. ويبدو لنا أن أجواء الحرية التي ما فتئ المجتمع الأمريكي يكرسها على جميع المستويات، السياسية والاقتصادية والتجارية والفكرية والثقافية والتعبيرية، قد ساهمت إلى حد بعيد في تصور النص الرقمي وبنائه ثم استثماره أدبياً على نحو يسمح بتعزيز مزيد من هوامش حرية القارئ، وبتحرير فعل القراءة إلى أقصى الحدود الممكنة. إن المتأمل في نشأة هذا النص وتطوره عبر السنوات، أي منذ المشاريع الأولى التي طمح إلى تحقيقها مهندسو الرياضيات والمعلوميات الناشئة وقتئذ مثل مشروع (زانادو) ومشروع (مميكس)، لا يستطيع تجاهل مركزية فكرة الحرية الثاوية خلف جل التصورات المساهمة من قريب أو بعيد في ولادته واستوائه على الوجه الذي هو عليه اليوم. وقد أكد (Yves Jeanneret) هذه الفكرة عندما اعتبر أن اليوطوبيا السياسية التي تثمن الديمقراطية وثقافة الحرية، هي التي كانت وراء تبني التيار النقدي الأمريكي للنص الرقمي. وقد فعل (Jean Clément, 2004, 84) الشيء نفسه قبله بسنوات قليلة عندما ذهب إلى أن النص الرقمي، في الثقافة الأمريكية التي شهدت ولادته، صاحب الحركة التحررية العامة، وبات رمزاً لمعارضة المعايير الأدبية الجاهزة.

يمكن أن نتلمّس من هذا المنظور بعض الخيوط الخفية التي تصل النظريتين، أي تلك الوعود التي تبشر بتحرير النص والقارئ من استبداد الخطية بصفتها مبدأً تنظيمياً، وتوسيع دائرة النفوذ التأويلي للقارئ الذي بدأ يظهر جلياً مع نظرية التلقي. وعندما نتأمل أفكار النقاد الطليعيين، وأعمال الروائيين المجددين التي استندت إليهما نظرية التقارب، نجدهما تشتركان في هذه التطلعات التي تسمح بتمديد هوامش حرية الكتابة والقراءة على السواء. لكننا عندما نفحص الانتقادات الموجهة لنظرية التقارب، وما صدر عن (Archibald, 2009, p.30) تحديداً لأنه الوحيد الذي خص هذه النظرية بفصل كامل من كتابه، فنجدها تتصدى لمجمل الأفكار المشكلة لعقيدة التقارب بين مقولات النظرية الفرنسية من جهة، وما ستقدمه النظرية الأمريكية على يد (Landow) و(Bolter) من جهة ثانية. ويمكن إجمال جوهر هذه العقيدة في مبدأ انفتاح النص المترابط، فقد شكل الدفاع على هذه الفكرة، التي يرى فيها الأمريكيون امتداداً للنظرية الفرنسية وتحقيقاً لتصوراتها، موضوع هذه الانتقادات. وسواء تعلق الأمر بالتناص أم بسلطة القارئ أم بغياب النهاية، وهي بالمناسبة أهم القضايا الخلافية التي توجهت إليها انتقادات (Archibald) وغيره من نقاد هذه النظرية، فإنها تظل في اعتقادنا صوراً مختلفة للمبدأ ذاته.

2. من النص إلى النص المترابط، قضايا خلافية

إن إثارتنا اليوم لهذه النظرية التي شغلت النقاد منذ نهاية القرن الماضي وما تزال تسيل الكثير من المداد، تستمد مشروعيتها وأهميتها من عاملين اثنين: أولاً نجاح روادها في تأسيس جهاز نظري متكامل لعله الأول للنص المترابط، وثانياً إرغامها النقاد الآخرين على النظر إليه بعيون الحداثة الأوروبية. فهل تشكل مبادئها حقاً استمراراً لنظيرتها الفرنسية، أم أنها بخلاف ذلك منعطف جديد ترتسم فيه معالم القطيعة؟

الواقع أن مبدأ الاستمرارية لا يمكن أن يستقيم إلا نسبياً، فالنظرية الأمريكية لم تستند في حالتنا هذه إلى أعمال أخرى سابقة أو معاصرة تشتغل بالنص المترابط، بل هي في واقع الأمر تبحث لنفسها عن مشروعية في نظرية قائمة تنتمي إلى سياق فكري مغاير جسده الإرث البنيوي. صحيح أن هجرة المفاهيم والأفكار لا تخضع لسلطة الجغرافيا، ولا تعترف بانفصال القارات عن بعضها، كما أن التأثيرات بين أوروبا وبلاد العم سام كانت دائماً متبادلة، لكن محاولة التقريب بين موضوع لساني بالأساس وموضوع تكنولوجي هو ما سيوسع الهوة بينهما؛ يقول (Archibald) منتقداً هذا التوجه: "إن أية محاولة تسعى إلى إضفاء شكل مادي على المفهوم، لا يمكن أن تتحقق دون أن تخلف وراءها غموضاً ولبساً، خاصة عندما يتعلق الأمر بمفهوم ذي هوية لغوية أساساً، أي كائن فكري"(Archibald, 2009, p.54).

يبدو أن تحفظ الناقد الكندي على النظرية الأمريكية لم يكن منصبّاً على دور التكنولوجيا في المقام الأول بقدر ما كان متوجّهاً إلى فكرتين أساسيتين وهما: محاولة (Landow) مماثلة مبادئ النص المترابط مع بعض مقولات النظرية الفرنسية، وسنتطرق إلى ذلك بالتفصيل في العناصر الآتية، ثم اعتباره ما بعد البنيوية مرحلة مستقلة بذاتها عن سابقتها، وهو ما رفضه (Archibald) الذي يرى فيها مجرد نقد ذاتي وإعادة نظر للبنيويين في بعض مواقفهم. ولذلك سيبادر إلى التأشير على صعوبة فهم المعنى المتأخر للنص دون فهم دلالته في المرحلة السابقة، وإن كان (Barthes) نفسه لم يرسم حدوداً واضحة بينهما. فهل كانت ثقة الأمريكيين الكبيرة في أدوار التقنية عموماً وحماسهم الزائد لطفرتها النوعية، منذ (Vannevar Bush) و(Douglas Engelbart)، من الأسباب التي ستقودهم إلى اعتبار النص المترابط رهاناً قادراً على تحقيق مبادئ التناص وانفتاح النص ومساهمة القارئ في الكتابة في صورتها الفعلية وليس المجازية أو السيكولوجية أو التأويلية فحسب؟

لا ريب في أن موقف (Landow) يعكس نزعة تجسيدية واضحة ستتردد أصداؤها في أكثر من مناسبة، وستتجلى أيضاً في نفوره من الطابع التجريدي لأفكار ما بعد البنيوية، وهو التجريد الذي يتصوره نقصاً أو عيباً حين يقول: "يخلق النص المترابط نوعاً من التجسيد الحرفي إلى درجة الإحراج لمبدأ يبدو مجرداً وصعباً عند مصادفته في المطبوع، لأن جاذبية هذه الحدوس النظرية تظل مدينة بشكل كبير لصعوبتها وحذلقتها، أما هذا التمثيل الأكثر حرفية فيزعج المنظرين لأنه يقلب تراتبية الأوضاع رأساً على عقب، وكذلك علاقات السلطة داخل مجال خبرتهم"(Archibald, 2009, p.50). والواقع أن التجريد هو خاصية كل الأفكار الفلسفية التي تتعالى على الوقائع العينية من أجل البحث في قوانينها الخفية وتفكيكها؛ فالبحث عمّا يميز النص المنقرئ عن نظيره المنكتب يتطلب في نظرنا حداً أدنى من التجريد الذي يقتضيه التعريف ذاته. إن عقيدة التجسيد التقني هذه هي التي ستقود (أرشبال) إلى كشف حدود هذه النظرية ومقارنتها مع اتساع أفق نظيرتها الفرنسية. وكأن لسان حاله يردد أن آراء (Landow) و(Bolter) أكبر من حجمها الحقيقي خاصة عندما تتجسد في نص لا يمكن أن يحقق بالتكنولوجيا وعوده النظرية. وستتبنى الناقدة (Renée Bourassa) الموقف ذاته عندما تعتبر سعي الأمريكيين إلى إدراج التخييل الترابطي ضمن البراديغم التفكيكي المهيمن آنذاك في أقسام الأدب الفرنسي في الولايات المتحدة الأمريكية(Bourassa, 2010, p.21)، يعني في ظاهره على الأقل، أن تجربة هؤلاء الإبداعية والنظرية على السواء كانت أشبه بتمرين يحاول تطبيق تصورات سابقة.

إن أول ما يلفت الانتباه هو جهر (Landow) بعقيدته النصية الترابطية منذ الصفحات الأولى من كتابه، فهو يسلم بذلك التعارض الصارخ بين المطبوع والنص المترابط. ويمكن القول مع بعض المجازفة بأن هذا التعارض هو الذي سيتحكم في تحديداته الأخرى، بل إنه يشكل ذريعة للدفع بخصائص هذا النص إلى الواجهة، أي تلك الخصائص التي يُعد الجهاز الإلكتروني مصدرها الأول. يقول المنظّر الأمريكي مردداً موقف زميله (Bolter)، وهما يفصحان معاً عن انتصارهما للإلكتروني على حساب المطبوع: "ما يبدو غريباً أو غير ملائم في المطبوع، سيظهر (عكس ذلك) طبيعياً على السند الإلكتروني. ولن يكون في حاجة للتعبير عنه قولاً مادام قد أصبح (على السند الجديد) قابلا للإظهار" (Landow, 1992, p.3). ولمّا كان هذا الرأي يستند إلى عقيدة التجسيد كما يحلو لـ(Archibald) أن ينعتها، فهو يضمر في الوقت ذاته مفاضلة بين النصين المطبوع والإلكتروني حين يثمن الترابطية البينية المقترحة في الثاني على حساب ما ينسجه القارئ من علاقات مفتوحة في الأول. وإذا ما عدنا قليلاً إلى الوراء لنبحث في طفولة النص المترابط، فإننا لن نعدم أمثلة تحث بالتصريح أو بالتلميح على هذه المفاضلة. لكن صاحب "النص والتقنية" لا يستسيغ هذا اللقاء بين تيار نظري وجهاز تكنولوجي، معتبراً إياه أبعد ما يكون عن الطبيعي، وأقرب ربما إلى الصدفة (Archibald, 2009, p.49).

والواقع أن رؤية كل من (Barthes) المتأخرة للنص بصفته غير قابل للتحقق إلا بفعل القراءة والتلقي، ورؤية (Kristeva) إليه بصفته إنتاجية وليس منتوجاً، وبناء وليس بنية، تغريان بعقد هذا التقارب بين إعادة النظر في أدوار القارئ، وإمكانيات النص المترابط الذي يسمح له بالتأثير والفعل بشكل أكبر مما هو عليه في المطبوع (Saemmer, 2015, p.82). ومن باب الإنصاف نقول إن "المقارنة" بين الورقي والرقمي قد طفت على السطح مرتبطة دائماً بالبدايات؛ أي في الولايات المتحدة الأمريكية حيث نشأ النص المترابط بمعناه التكنولوجي أولاً، وفي أوروبا بعد ذلك حيث طغى هذا النقاش مع نهاية القرن الماضي، ثم في العالم العربي حيث ما تزال المقابلة التفاضلية بينهما مهيمنة ما خلا دائرة المتخصصين الضيقة. ويظل هذا الإجراء مفهوماً لأنه مرتبط بمرحلة انتقالية عابرة يطفو على سطحها نوع من الانبهار الضروري بالجديد، والميل الطبيعي إلى مقارنته بالقديم، وهو ما تؤكده ردود الأفعال المتباينة التي صاحبت ظهور الكتاب نفسه.

تتمحور الانتقادات الموجهة لنظرية التقارب حول مجموعة من القضايا الخلافية، ويظل القاسم المشترك بينها هو رفض مبدأ المماثلة الذي يشكل عقيدة النظرية الأمريكية؛ ففي نظر روادها يعطي النص المترابط شكلاً مادياً وملموساً لبعض مقولات ما بعد البنيوية، أي أنه يجسدها بصرياً (Bourassa, 2010, p.26). وسنعرض لهذه القضايا بعيداً عن أي تعسف أو تمحّل، وبرؤية لا تخلو من حس نقدي مصدره الموضوعي المسافة الزمنية التي تفصلنا عن هذا النقاش، والسياق العام الذي احتكمت إليه هذه النقود، وإيماننا بأن الإبداع الأدبي عامة والروائي خاصة هو من يطوّع التقنية لصالحه وليس العكس، سواء تعلّقت هذه التقنية بلغة الكتابة أم بسندها أم بالجنس الأدبي.

3. بين التناص والترابطية البينية

يصرح (Landow) في مستهل كتابه بأول مظاهر هذه المماثلة بين صورة التناص وما يجري في النص المترابط بقوله: إن "النص المترابط هو نظام تناصي في الأصل، وهو قادر على إظهار التناص بطريقة يعجز عن بلوغها النص المطبوع" (Landow, 1992, p.10). ويظهر بوضوح هاجس تشبيه إحدى أهم خصائص النص المترابط وهي "الترابطية البينية" (interconnectivité) بمفهوم التناص بما هو جوهر كل النصوص، ومصدر غناها الدلالي وتعددها التأويلي. وتبدو فكرة إعطاء شكل مادي ملموس ومجسّد بصرياً لمفهوم مجرد، العزيزة على (Landow)، حاضرة في إسناده قدرة كبيرة للنص الإلكتروني على تحقيق تجسيد تام للعلاقات التناصية، فما كان حدسياً وغير واضح خلال فعل القراءة، سيظهر بفضل النص المترابط مثل إحالة يسهل تتبعها (Saemmer, 2007, p.34).

إن فكرة الترابطية البينية هي جوهر النص المترابط، ولا يخلو منها تعريف من تعريفاته العديدة منذ (Bush) الحالم بترابطية بينية شبيهة بطريقة اشتغال الدماغ البشري، إلى غاية (Nelson) الذي حققها مع رفيق دربه (Engelbart). يقول (Ted Nelson) عند تعريفه النص المترابط: "هو مجموعة من المحتويات (أو الوحدات) المكتوبة أو المصورة التي تترابط بينها بشكل بالغ التعقيد إلى درجة لا يمكن معها تمثيله على الوجه الملائم على الورق" (*Angé et al, 2015, p.100*). والحقيقة أن هذا التعريف لا يجعل المشابهة السالفة الذكر مستساغة وسهلة فحسب، بل إجراء طبيعياً في تلك المرحلة التي تلت انتشار أفكار المدرسة الأمريكية. وعلى غرار (Landow) الذي اعتبر النص المترابط تناصاً تكنولوجياً، أو هو يسمح للقارئ بإظهار التناص (Marcotte)، سيذهب (Christian Vandendorpe) إلى أن هذا المفهوم الشائع اليوم، والذي ينحدر من المعلوميات واستخدامات الوب، يقترب أكثر من التناص، غير أنهما لا يتطابقان بالنظر إلى أن التناص ظاهرة ترتبط بالقراءة، أما النص المترابط فهو بناء معلوماتي مكون من روابط ونصوص قابلة للظهور في نوافذ (Vandendorpe, 1999, p.114). وسيفعل (Clément, 2000, p.47) الشيء نفسه عندما يلمّح إلى أن التناص وجد في النص المترابط ترجمته التكنولوجية الملائمة، ويعكس عنوان أحد مقالات (Olivier Ertzscheid, 2000) هذا التوجه بشكل واضح. أما (J. Y. Douglas) فتذهب إلى أبعد من ذلك حين تضع هذا الإجراء في مقام العملية البديهية، إذ "لا يحتاج المرء إلى أن يكون متخصصا في كتابات (Barthes) حتى يتعرف على النص المترابط في تصوره الذي يجعل من النص المطبوع شبكة من الإحالات والإشارات إلى نصوص أخرى، حسب ما جاء في كتابه "من الأثر إلى النص" (Archibald, 2009, p.55). غير أن (Kristeva) شأن غيرها في مدرسة (طيل كيل) الفرنسية الذين نظّروا لهذا المفهوم، تؤشّر على مبدأ التحويل الذي يحدثه تحاور النصوص عندما تذهب إلى أن كل نص "يتشكل بصفته فسيفساء من الشواهد واستيعاباً وتحويلاً لنص آخر" (Kristeva, 1969, p.85). إن النص بهذا المعنى هو إلى حد ما ذاكرة تحتضن آثار وأصداء نصوص أخرى، ولذلك فهو لا يكتب أو يقرأ من فراغ أو بمعزل عما كتب قبله. ومع حلول الظاهراتية الجديدة بات التناص تحدياً هيرمينوطيقياً موجهاً إلى القارئ الذي جّرد المؤلفَ من عرشه وأنزله من برجه ليصبح المنتج الأول للمعنى، وهو ما يتردد صداه في رأي (Michaël Riffaterre) عندما يعرف التناص بصفته "إدراك القارئ لعلاقات عمل ما مع أعمال أخرى سابقة أو لاحقة" (Riffaterre, 1980, p.4). فالقارئ هو الذي يفعّل هذه العلاقات التناصية المضمرة ويحققها سواء بوعي منه أو بدون وعي، ويؤشر هذا التعريف الأخير على تحول بالغ الأهمية للتناص "من ظاهرة نصية إلى ظاهرة قرائية" (Ferrer, 2007, p.206). إن فعل تنشيط الروابط الذي ستعتبره (Marcotte)، بعد قراءتها لأعمال (Landow)، تبصيراً (visualisation) للتناص، قد تم تأويله بصفته تفاعلية تسمح للقارئ بالتدخل في النص وتغييره فعلياً. وترددت أصداء هذه الفكرة عند (Lévy Pierre) لما لاحظ بأنه "منذ ظهور النص المترابط أصبحت كل قراءة فعلاً كتابياً" (Lévy, 1998, p.44).

غير أن المقارنة بين مفهوم التناص مثلما تجلى عند رواده وما يعكسه النص المترابط من إمكانيات، ستفضي بالناقد (Archibald) إلى استنتاج مغاير. وانسجاماً مع رؤيته النقدية الرافضة لهذا التقارب بين المفهومين، سيسلط الضوء على الفرق الشاسع بين لانهائية العلاقات البينية للنصوص التي يحتملها التناص ومحدوديتها في النص المترابط، ليخلص إلى أن هذه المشابهة التي تعتبر الثاني شكلاً مادياً للأول ستكون في الواقع ذات نتائج معكوسة، وستقلص الإمكانيات السيميوطيقية للتناص. ويذهب إلى أبعد من ذلك حين يؤكد، استناداً إلى قراءته الخاصة لدلالة الرابط ووظائفه "الممكننة"، أن هذا الانفتاح يظل وهمياً ومبالغاً فيه بالمقارنة مع ما يجري في النص بمعناه البارثي. فالقراءة التي لا تعتبر تناصاً سوى الروابط المقترحة من طرف النص المترابط ستكون حتماً قراءة ناقصة وموجهة بشكل تام (Archibald, 2009, p.57). إن مفهوم التناص عند ما بعد البنيويين وثيق الصلة بالقراءة بما هي العملية المسؤولة عن انفتاح النص ونسج علاقاته الداخلية والخارجية، وإذن فهي عملية لا نهائية تكرس حرية القارئ، بل إن رهان الأدب يكمن في تحويله من مجرد مستهلك سلبي إلى منتج للنص نفسه (Barthes, 1970, p. 10)، أما الترابطية البينية فتظل عملية تكنولوجية تتصل بواسطتها المقاطع أو المعلومات مع بعضها بروابط فعلية محددة سلفاً. وقد سبق للباحث الكندي (Gervais Bertrand) أن انتقد بدوره هذه المشابهة عندما اعتبر العلامة بصفة عامة لا تحيل على موضوعها تلقائياً، لأنها ليست موضوعاً جامداً وثابتاً، بل إن المؤول هو من ينسج هذه العلاقة ومن يدلّل العلامة وفق معارفه وتجاربه. أما بالنسبة للرابط فالعلاقة تبدو معكوسة لأن الإحالة هنا لا تتغير أبداً وتظل موجودة في استقلال عن المؤول الذي يختار تنشيطها. يحتل الرابط مكانة العلامة التي تحيل على شيء ما بالنسبة لشخص ما، إلا أنها تفعل ذلك بشكل مماثل دائماً بمجرد خضوعها للبرمجة، وبعبارة أوضح فإن الرابط، ومهما اختلف المؤولون، لن يحيل على شيء آخر غير النص المحدد مسبقاً، وبذلك فهو لا ينتمي إلى دائرة الاحتمال الواسعة التي يستحضرها التناص ويسمح بها، بل إلى الموجود الذي ينتظر التحيين بكبسة زر ليكشف طبيعته فقط (Gervais, 2006, p.7). يخلص (Archibald) إلى أن هذا التقارب بين

المفهومين ينم عن سوء فهم للتناص من جهة، وللترابطية البينية عند (Nelson) من جهة ثانية. إن الحالة الوحيدة التي تصبح فيها الترابطية البينية أنجع مكان للتناص هي عندما يتم، لسبب أو لآخر، تثمين تعالق تقني على حساب تعالق سيميوطيقي.

J. Yellowlees Douglas

لا شك في أن تبئير النقاد الأمريكيين، وأبرزهم (J. Yellowlees Douglas) تصوراتهم على النص المطبوع، الذي يعد في نظر (Archibald) فهماً خاطئاً لدلالة النص عند (Barthes)، هو الذي حذا بهم إلى نقل قسري لثنائية: أثر/نص نحو ثنائية: نص/نص مترابط. والحال أن الأمر يتعلق دائماً بفعالية القراءة وليس بالوسيط الذي، مهما بلغت ديناميته، لا يغير في شيء من حقيقة العمل. صحيح أن لا تتابعية النص المترابط لها تداعياتها الخاصة، غير أن النص كان دئماً موضوع تأويل مستمر، وفي هذه الحالة علينا أن نعي بأن الإبحار والقراءة لهما علاقة المشابهة الموجودة بين الترابطية البينية (interconnectivité) والتناص، ولكنهما عمليتان منفصلتان بالفارق نفسه؛ الأولى تكنولوجية والثانية سيميوطيقية (Joyce, 2009, p.59). وسنعود إلى مناقشة هذه المقارنة لاحقاً، ونكتفي هنا بالقول إن مفاضلة التقاربيين بين النص المترابط والمطبوع قد قوبلت بتفاضيلة أخرى معكوسة عند منتقديهم، كما أن تركيزهم ظل منصباً على الوجه التقني للنص، وهو تركيز يستبعد الطبيعة التناصية لأي نص إبداعي. أما اعتقادهم بقدرة النص المترابط على تجسيد التناص وتشخيصه بصرياً فهو في رأينا أبعد ما يكون عن الصورة الحَرفية وأدنى إلى نظيرتها المجازية التي لا تخلو من حقيقة، شأنها في ذلك شأن صورة الشبكة (réseau) والمجرة (galaxie) وغيرها من المقارنات التي باتت أشبه بالثوابت في النظرية النقدية. ونرى أن الجدير بالاهتمام هنا هو أن النص مطبوعاً كان أم رقمياً يظل في جميع الأحوال تناصاً في جوهره، أما فكرة التجسيد فلن تكون ملائمة إلا إذا نحن اقتصرنا على شبكة الروابط الداخلية، أي العلاقات البينية الجاهزة التي تصورها المؤلف وجسدها بروابط قابلة للتنشيط، وما عدا ذلك ستظل شبكة العلاقات الممكنة بين النص وغيره قائمة. ولكن ألا يمكن اعتبار هذه الشبكة ذاتها جزءا يراد به الكل، أي تحفيز القارئ على عقد علاقات جديدة تتحقق بأفعال تنشيط غير متوقعة من المؤلف ذاته.

4. انفتاح النص المترابط وسلطة القارئ الجديدة

إن الانتقال من خطية المطبوع إلى لا تتابعية النص المترابط هو انتقال من سلطة المؤلف الذي كان مسؤولاً عن تحديد بناء منتهٍ وتام لنصه المقروء، إلى سلطة القارئ الذي أصبح فاعلاً حقيقياً في تشييد نص خاص به ضمن نص موجه للقراءة. وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، أفضى فعل المناورة الذي بات يسمح به النص على الشاشة إلى منازعة المؤلف في إحدى أهم صلاحياته المتمثلة في تحديد الشكل النهائي لعمله ولطريقة قراءته واستهلاكه. يقول (Michael Joyce) صاحب أو عمل روائي ترابطي: "لم يعد بإمكان القارئ تحديد نظام لما يقرأه فحسب، بل إن اختياراته هي التي تحدد النص المقروء أيضاً. فمن خصائص النص المترابط الأساس هي إتاحته القراءة والكتابة إلكترونياً وفق الترتيب الذي يلائم القارئ، وذلك إما تبعاً لاختيارات مقترحة من طرف المؤلف، أو وفق اكتشافاته للتنظيم الطبغرافي الحساس للنص. إن اختيارات القارئ (...) هي ما يشكل وضعية هذا النص النهائية، وبذلك يتحول إلى (شبه) كاتب" (Joyce, 1991, p.13 - 14).

تجسد هذه الفكرة مفهوم النص المنكتب "texte scriptible" عند (Barthes). ويتجلى ذلك في الطريقة التي استلهم بها (Landow) مفهوم "وحدة القراءة" (lexie) من السيميولوجي الفرنسي في كتابه "S/Z" عند تحليله قصة "سارازان" لصاحبها (Balzac). وحسب (Archibald) تتوافق دلالة "وحدات القراءة" مع معنى "الوحدات غير المحددة سلفاً" عند (Michel Charles). ويدل المصطلحان معاً، ما خلا بعض الاختلافات البسيطة، على وحدات المعنى التي يحددها التحليل بعد تقطيع النص بشكل قد لا يلائم نظيرتها المحددة سلفاً من طرف المؤلف كالفصول والفقرات والأبيات الشعرية وغيرها. فقد يقبل التحليل بهذا التقطيع الجاهز، وقد يلجأ إلى تشييد مجموعة دالة انطلاقاً من مقاطع متفرقة لا تحترم النظام الجاهز للنص وتتخلل أجزاءه دون اعتبار لاستقلالها الناجز. ويستخدم (Landow) في الجهة المقابلة مصطلح (lexia) ويقصد به "العقد" أو نصوص الشاشة، وهو شبيه بمصطلح (Barthes) في محاولة منه للاقتراب أكثر من تصورات ما بعد البنيوية والإعلان عن انتماء النص المترابط إليها. والشاهد هنا هو رفض (Archibald) لهذه المماثلة التي حرّفت دلالة (lexie) لتغدو موازية لدلالة العقدة، إذ صار المقطع المحدد المنتمي لمجال المؤلف وسلطته معادلاً لنظيره غير المحدد المنتمي لمجال القراءة والتحليل. والواقع أننا عندما نتأمل تجليات العقدة في النصوص الترابطية على الشاشة نجدها تختلف أيضاً عن معنى الوحدة المحددة. وينطلق الناقد من مثال الصفحة كما أورده (Landow)؛ فقد يوجد محتوى صفحة واحدة في المطبوع موزعاً بين عدة صفحات في الصيغة الإلكترونية، وإذن فالعقد تحتل مكاناً وسطاً بين ما حدده المؤلف وما يحدده القارئ، لا هي شبيهة بالأول في استقلاليته الدلالية الذاتية النسبية، ولا هي مختلفة عن الثاني بسبب تحديدها المسبق مادياً على الشاشة. صحيح أن العقدة يمكن أن تحيل عملياً على خمس أو عشر أو مائة أو حتى ألف عقدة أخرى لكنها تظل مع ذلك قدرة إحالية جد ضعيفة مقارنة مع نظيرتها، الموجودة في أي مقطع أدبي مطبوع أو في الشبكة، التي تظل سيميوطيقياً لا محدودة، لينتهي ناقدنا إلى أن هذه التكنولوجيا لا يمكنها سوى اختزال الإمكانيات السيميوطيقية للتناص (Archibald, 2009, p.57).

إن توجه المدرسة الأمريكية هو في الحقيقة أميل إلى استحداث مفهوم جديد لوحدات القراءة، أي إلى تفويض القارئ مسؤولية تحديد دلالة المقطع النصي الظاهر على الشاشة وعلاقاته عن طريق تنشيط الرابط لوصله بعقد أخرى محتجبة، مع ما قد ينجم عن هذا

الإبحار من ضياع في النص. ولتوضيح هذه الفكرة وفهم فلسفة "الدوكسا" الأمريكية وانتقادات (Archibald) القاسية وغيره من النقاد، لا بد من العودة مرة أخرى إلى المقارنة بين المطبوع والترابطي الحاضرة ضمنياً عند المنظّرين الأمريكيين. إن النص المطبوع يحدد طريقة قراءته المادية، أي أنه يرسم المسار الذي على القارئ اتباعه خلال رحلته في استهلاكه (البداية ثم تعاقب الصفحات فالنهاية)، غير أن النص هنا على الرغم من تمامه وثباته الماديين يفتح، من دون شك، أفق القراءة بما هي تأويل وتفاعل ونسج لا محدود للعلاقات، أما الترابطي الرقمي فهو يشطّر النص بما هو مادة ويجزّئه، ولا يحدد شكلاً نهائياً لكتلته ولا مساراً يتعين اتباعه ولا وجهة يقتفي أثرها القارئ، لكنه بعكس الأول، في نظر نقاده، يوجه القراءة بما هي تأويل. فالروابط، كما جاء على لسان (Gervais) سابقاً تحدد طبيعة العلاقات بين العقد، وتحدّ من فعالية القراءة ومن انفتاح الاحتمالات. ويخلص إلى أنها نظرية تفضل اقتراح مسار عشوائي على القارئ بدل بناء منسجم، ولا تفضي في حقيقة الأمر سوى إلى حرية محروسة. فالعقد لا يمكن أبداً اعتبارها وحدات، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، لأنها خاضعة إلى تقطيع مسبق وإلى نوع من العلاقات المبرمجة التي لم يشارك فيها القارئ، إنها ليست حرية في تشكيل النص بقدر ما هي محاولة لفهم تأويل سابق يختفي وراء تقطيع حدده أحدهم (Archibald, 2009, p.63). ويلتقي (Archibald) وغيره في مسالة ضياع القارئ مع ما ذهب إليه (Vandendorpe, 2003, p.315) قبل ذلك بسنوات عندما شكك بكل الوسائل المتاحة في زمنه في مدى تحقيق النص المترابط لحرية القراءة التي لا تتم في نظره إلا باختيارات مبررة، أما المتاهة المفروضة عليه فهي أشبه بسجن. فالمتاهة، كما قال (فوكو) ليست هي المكان حيث نضيع بل هي المكان الذي نخرج منه دائماً ضائعين. إن الحديث عن القارئ بصفته مؤلفاً لمجرد أنه يتمتع بحرية ربط العقد ووصلها، أو لأن اللا تحديد الدلالي للوحدات يفسح مجالاً أوسع للتأويل، هو في الواقع مبدأ كلاسيكي يتمثل في الأثر المفتوح أكثر مما هو انقلاب غير مسبوق في أدوار القارئ والمؤلف. ويعزو (Archibald) فكرة اعتلاء القارئ مرتبة الكاتب في النص المترابط إلى نوع من الخلط بين الأثر والنص كما حددهما (Barthes)، أي إلى اعتبار الكتاب إطاراً حاملاً للأول، حيث القراءة عملية استيعاب ساكنة، والنص المترابط إطاراً طبيعياً للثاني حيث القراءة صيرورة دينامية. وتتبنى (Bourassa, 2010, p.36) الموقف ذاته الذي يستند إلى آراء (Aarseth) عندما تعتبر حرية القارئ في هذا السياق مجرد خدعة لأن المسار الذي يقطعه يظل مقيداً بالشكل المحدد سلفاً من طرف المؤلف. لكن ألا ينطبق الحكم ذاته على أي نص إبداعي، هل يمكن الوثوق حقاً في لانهائية معاني النص كما بشرت بذلك الحداثة الغربية، وهل هي في صالح القراءة عموماً وفي صالح النص ومؤلفه، أليست هذه التعددية اللامحدودة واللانهائية ضرباً من ضروب الأساطير الجديدة، وضرباً أيضاً بعرض الحائط لكينونة تجربة إبداعية محددة في الزمان والمكان ومحكومة بقصد المؤلف؟

1.4 الكتاءة والقتابة

في الوقت الذي كان فيه (Archibald) منكباً على إنجاز أطروحته التي احتل فيها نقد نظرية التقارب حيزاً هاماً سنة 2008 في جامعة كيبيك بمومنتريال، لينشرها سنة بعد ذلك في كتاب قيم نعتمده مرجعاً في هذه الدراسة، كان الاستقبال الذي حظي به النص المترابط في أوروبا مغايراً بعض الشيء عما كان عليه الأمر عند ناقدنا وكذلك عند زميليه (Vandendorpe) و(Renée Bourassa) في الجامعة الكندية. ويبدو أن جمع كثير من النقاد الأوروبيين في جعبتهم بين كتابة الأدب الرقمي والكتابة عنه هو الذي حذا بهم إلى التركيز على ما يمكن أن يحققه هذا النص الجديد عوض تركيزهم على ما هو عاجز عنه كما هو شأن التوجه الكندي. ولا يفوتنا أن نشير في هذا السياق إلى ذلك التطلع الذي رافق النص المترابط نحو محو الحدود بين القراءة والكتابة، والراجع بالأساس إلى لا خطيته المادية، والتنبيه أيضاً إلى أن كل النصوص بما فيها الورقية تظل في جوهرها غير خطية؛ فإذا كانت الكلمات والفقرات والفصول ثابتة ضمن نظام النص وفي سياق يحددها لا يكاد يتغير، فإن القراءة تستدعي بالضرورة، وفي كل لحظة، نصوصاً مقروءة بغاية تأويل النص الحاضر، مع ما ينجم عن ذلك من تعدد في الدلالات سببه الحياة الأخرى التي عاشتها الكلمات في نصوص أخرى أكسبتها شحنات دلالية متغيرة باستمرار. من هذا المنظور فإن قراءة النص المطبوع ليست أبداً قراءة خطية مثلما يوحي بذلك نظام الكتاب الورقي، غير أن النص المترابط سيضيف إلى هذا التعدد اللصيق بلغة التعبير تعدداً آخر وثيق الصلة ببنيته (Clément, 1995). وعند الحديث عن مساهمة قارئ النص المترابط في الكتابة، لا بد من إثارة اسم (Pedro Barbosa) الذي تجمع جل الأبحاث على اعتباره أول من سيولي عناية خاصة لتحول أدوار المؤلف والقارئ. وسيفتح هذا الباحث البرتغالي الطريق أمام غيره من الأوروبيين لتبني مواقف منفتحة نابعة من نزعة طليعية ومستقبلية في آن واحد، تمجد التغيير والحداثة والتطور والتقنية، وتنظر إلى هذا النص نظرة تفاؤلية بعيدة عن "عقيدة" بنيوية متشددة. سيبتكر البرتغالي (Barbosa) لأول مرة مصطلح "écrilecture" أو (الكتاءة) سنة 1992 (Paveau, 2016)، ويقابله عند الأنجلوفونيين (ReadWrite)، ويعني به انصهار نشاطي الكتابة والقراءة في فعل واحد هو في الواقع نتيجة طبيعية للطريقة التي يعرض بها النص الرقمي على الشاشة. إن قابلية الرابط للتنشيط تفضي إلى مناورة النص عن طريق "ملفوظ الفعل الجسدي"، أي كل أفعال المناورة التي يقوم بها القارئ، أو تدخلاته وأنشطته الجسدية التي تمس بناء معنى العمل الأدبي الرقمي. ففي مناورة النص الرقمي لا يجب النظر إلى حركة القارئ في ذاتها، ولا إلى ما يحدث على الشاشة فحسب، بل إن هذه الحركة تكتسب معنى ضمن التفاعلية (Bouchardon, 2011, p.38)، وبذلك يشرع هذا النص في التخلق في الوقت نفسه الذي يُقرأ (Fabien & Zlitni, 2021, p.214 - 2016). وبات القارئ بحسب هذا المفهوم مشاركاً لا في تشييد معنى النص فحسب وإنما في إنتاج ماديته أيضاً، أي شكل النص النهائي الذي يكون موضوع قراءته. وأفضت هذه القراءة الجديدة حينها والسابقة على قراءة الكنديين (Archibald) و(Vandendorpe) إلى محو الحدود بين الكتابة والقراءة. إن التمييز الذي

كان ملموساً في المطبوع بين مؤلف النص وقارئه، سيتراجع لفائدة واقع آخر يصبح فيه القارئ أحد الفاعلين في كتابة متعددة الأصوات أو على الأقل، متحملاً مسؤولية بناء نص جديد انطلاقاً من مقاطع مجزأة ومركبة بحرية (Chartier, 1994). ولن تتوقف أفضال هذا التلقي الإيجابي للنص المترابط عند هذا الحد، بل ستتجاوزه إلى رد الاعتبار إلى القارئ، وليس الكاتب كما يشير إلى ذلك مصطلح (الكتاءة) أعلاه، حيث سينحت (Weissberg, J.-L.) مصطلح (lectacture) الذي يضع المستقبل في المقدمة، ونعتبره أنسب من غيره عند أخذ فعل القارئ بعين الاعتبار. فالفعل (acte) لا يمكن الفصل فيه بين الجسدي والذهني عند سعيه إلى تملّك النص الرقمي مادياً وفكرياً أيضاً (Weissberg, 2001, p.64). وعلى الرغم من اختلاف هذين المصطلحين إلا أنهما ينتهيان في الأخير إلى التأشير على أدوار القارئ التي باتت تعزز التقارب بين إنتاج النص وتلقيه.

أما في مجال الأدب، فغاية المصطلح هي التأشير على مشاركة القارئ في بناء المعنى ليس عن طريق التأويل فحسب، بل أيضاً عن طريق قيامه بفعل مزدوج؛ فعل القراءة اللاخطي الذي يسمح له بتنشيط الروابط من جهة، وكتابة موازية تُنتج نصاً مقروءاً (texte lus) ضمن نص أكبر موجه للقراءة (texte à lire) من جهة ثانية. لقد انتقلنا، نظرياً على الأقل، وقبل تطور الحواسيب خلال ثمانينات القرن الماضي، من تبئير على التقنية وعلى الترابطية الآلية إلى تبئير على "القارئ . الكاتب" أو "القاتب"، وعلى طبيعة تدخلاته. وينسجم هذا التصور مع تحديد (Nelson) للنص المترابط بصفته شكلاً من الكتابة أكثر من كونه صنفاً من النصوص أو نظاماً لإظهار المكتوب (Giffard, 2004). تتجاوز الكتاءة بهذا المعنى استهلاك النص قرائياً أو تملّكه دلالياً إلى تملكه شكلياً لا بمعنى المقروء وإنما "المكتوء" (écrilu). ضمن هذا السياق الثقافي العام الذي رافق زواج الأدب بالتكنولوجيا، سيظهر تحول ملموس أو بعض المرونة في موقف (Archibald) بخصوص قضية القارئ الكاتب. فقد ذهب بمعية (Sophie Marcotte) عند تحديدهما للمفاهيم التي شكلت "المتخيل الأدبي الرقمي، أي بعد نشر كتابه بسنوات قليلة، "إلى أنه عن طريق الجمع أو الربط الحر بين العقد، وإتاحة مسارات مجهولة في فضاء النص، وجعل الشذرات النصية في وضعية اللا تحديد الذي يمكن للقارئ منحها دلالاته الخاصة، استطاع النص المترابط أن يضفي دينامية على دور القارئ إلى درجة بات معها ممكناً اعتباره مؤلفاً (Marcotte, 2015, p.16).

ولا يمكن أن نؤول موقفه الجديد إلا بصفته امتداداً لما كانت تحاول النظرية الأمريكية التأسيس له. فهل كان لتطور الأسناد والأجهزة الرقمية والبرمجيات، ولظهور أعمال أدبية رقمية مختلفة دور في هذا التحول الذي طال الموقف السابق للناقد، أم أن الأمر يتعلق بليونة طبيعية أملتها صيرورة التطور ذاتها، خاصة وأن المدة الزمنية الفاصلة بين رأيه الجديد وموقفه النقدي الأول كانت كافية لاطلاعه على بعض الأبحاث الصادرة كما قلنا عن نقاد أو منظّرين يمارس أغلبهم الكتابة الإبداعية الرقمية؟ ولكننا نود الإشارة قبل ذلك إلى أن تلقي أفكار نظرية التقارب لم يكن دائماً سلبياً كما قد يفهم مما سبق، بل إن إسهامات الأوروبيين كان لها دور حاسم في نشر هذه الأفكار وإشاعتها بسبب انتمائها ثقافياً وفكرياً وجغرافياً إلى تطلعات الطليعيين. ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى مواقف كل من (Clément, 2000) و(Saemmer, 2007) و(Bouchardon, 2012) على سبيل التمثيل لا الحصر. كما أن توجه النظرية الأدبية عموماً إلى القارئ ليس بجديد، فقد شهدنا خلال النصف الثاني من القرن العشرين انتقالا من المؤلف إلى النص مع البنيوية، ومنه إلى القارئ مع نظرية التلقي.

5. سراب النهاية

من أهم الأطروحات التي سيتصدى لها نقاد نظرية التقارب، وهي الأطروحة الثالثة، قولها برفض النص المترابط للنهاية وقدرته على تجسيد هذا الرفض فعلياً وليس تأويلياً فحسب. وسيحاول (Archibald) تفنيد هذه الفكرة عن طريق ردّها إلى أصولها وصورها الأولى عند البنيويين المتأخرين أو ما بعد البنيويين كما فعل مع سابقتها، مؤكداً في الوقت ذاته خلط هذه النظرية بين الأثر والنص حين تعمد إلى مقارنة المطبوع ما النص المترابط.

ينطلق الناقد من رأي (Michel Charles) الذي يقر باستحالة سريان القراءة إلا بإسناد نهاية للنص، ولا يمكن تصور تأويل نص ما إلا باعتبار نهايته ومقطعه، أي تلك التخوم التي يتحقق عندها ومعها الاتصال والتبادل وليس الانفصال والانقطاع. ومهما كانت هذه النهاية محبطة ومخيبة للآمال، أو غير مرضية أو ذات طبيعة إشكالية فإنها هي التي تفتح سيرورة التأويل. غير أن "رفض النهاية" لا يعد في نظر الناقد وليد اليوم، بل شكّل منذ سنوات طويلة مركز اهتمام عدد من طليعي مدرسة "طيل كيل". ويتجلى هذا الاهتمام بشكل واضح في تلك الصور التي رسمها هؤلاء للدلالة على انفتاح النص، وفي سعي كل واحد منهم بطريقته الخاصة إلى تفجير بنية النص واستقلاليته؛ ومنها صورة الشبكة والنسيج والمجرة عند (Barthes, 1970)، والإنتاجية بصفتها معادلاً لتعدد الدلالات عند (Kristeva, 1969)، والتفكيك واللامركزية عند (Jacques Derrida) وغيرها. ويذهب ناقدنا إلى أن مبدأ رفض النهاية، بخلاف ما تدّعيه نظرية التقارب حين تنسبه للنص المترابط، هو في الحقيقة أقرب إلى تصور الطليعيين مستشهداً برأي (Barthes, 1970, p.11) حين يقول: "في هذا النص المثالي، تكون الشبكات متعددة ومتفاعلة بينها دون أن تهيمن إحداها على الباقي؛ إنه مجرّة من الدوال وليس بنية من المدلولات، فهو لا يتضمن بداية ويمكن الولوج إليه عبر مداخل متعددة دون أن يكون أحدها رئيسياً". وانطلاقاً من هذا الفهم الجديد للنص، يستنتج أن الترابطيين قد استأنفوا النص المترابط حيث ترك ما بعد البنيويون النص، لكنهم سيفعلون ذلك بغاية واحدة وهي الشروع في تأسيس تجديد نظري على أنقاض الكِتاب. ويخلص إلى أن مفهوم النهاية يقترن عندهم بالمطبوع ليتم عكسه على محتواه. والواقع أن ما يحسب لصالح (Archibald) هو تذكيره بحقيقة باتت اليوم بَدَهية، وتكمن في

نسف الرواية الجديدة لهذا المبدأ، وإعلان كثير من تجاربها منذ مدة عن نهاية النهاية التقليدية. لكننا نرى أن اختزال رؤيته إلى النهاية في فكرة السبق، لا يضيف شيئاً إلى هذا النقاش، فضلاً عن كونه يشرح معطى واضحاً؛ فقد أعلن (Landow) منذ البداية عن موقفه الأقرب إلى الانبهار بآراء الطليعيين، وهو موقف يُسلِّم بسبقهم ولا ينفيه أو يتجاهله، كما أن زمن نشر أول رواية رقمية وما تلاها من تنظيرات أمريكية بداية تسعينيات القرن الماضي كفيلان بتأكيده. صحيح أن رفض النهاية لا يعد جديداً لكن ليس لأن النظرية الفرنسية كانت سباقة إليه، وإنما لأن رؤية النصف الثاني من القرن العشرين إلى العالم باتت ترفض إسناد أي نظام جاهز لهذا العالم، بَلْه التعبير عنه بعوالم تخييلية منتهية وتامة. وإذا كانت ما بعد الحداثة قد عبرت عن ذلك بطريقتها الخاصة استجابة لهذا التحول، فقد قالت نظرية التقارب الشيء ذاته بطريقتها الخاصة أيضاً، خاصة وأن بوادر لانهائية النص المترابط وانفتاحه قد تم التعبير عنهما بشكل واضح خلال الفترة نفسها. ونقصد بهذا الكلام آراء (Nelson) التي صرح بها منذ نهاية ستينات القرن الماضي.

يذهب (Landow, 1992, p.113) إلى أن النص المترابط يقترح في الواقع فضاء جديداً يحرر القارئ من إكراهات المطبوع ويرفض كل الحدود ومعها البدايات والنهايات، ويستشهد بقول الكاتب الأمريكي (Michael Joyce) الذي صدّر به روايته "afternoon, a story" وهي أول عمل تخييلي ترابطي: "عندما تتوقف القصة عن النمو، عندما تشرع في الدوران حول نفسها، عندما تشعرك بالعياء، فإنها نهاية تجربتك في القراءة"، ويضيف أن النهاية في أي عمل روائي هي خاصية مشكوك فيها. ويؤكد هذا الموقف رأي (Bolter, 1991, p.124) عندما قال: "نستطيع القول بعدم وجود قصة البتة فلا وجود سوى لقراءات". أما (Archibald) فيرى أن نظرية التقارب تسعى بهذا الشكل إلى إرساء جمالية لعدم الرضى وعدم الارتياح. وتتفق هذه الخلاصة مع ما سبق أن أشرنا إليه بخصوص ميل الإبداع الترابطي في أمريكا إلى تفضيل الأشكال المتاهية عن طريق الإكثار من الروابط، بخلاف نظيرتها الفرنسية. أما خلخلة المحكي وتكسير تعاقبيته ومعاكسة تسلسله، فهي بحسب الناقد خصائص سبق لأدب القرن العشرين الطليعي أن كرسها قبل ظهور النص المترابط. وإمعاناً في تقليله من شأن أطروحة غياب النهاية عند المنظرين الأمريكيين، يؤكد أن اللاتمام واللاتحديد قد جسدا في الأدب الطليعي بداية للتأويل وليس لعدم الفهم، في تلميح منه إلى حالة اللبس والغموض الناجمة عن غياب النهاية بالمعنى الذي قدمه (Joyce). ولما كانت وحدة النص نوعاً من البناء وانعكاساً لوحدة التحليل، فلن يجد أي مؤول صعوبة في إدراك أهمية النهاية في عملية التأويل لأن القراءة ليست في نهاية المطاف سوى ذلك الفعل الدينامي الذي يُسند للنص نهاية.

إن إعادة تثمين النهاية لا يجب أن يصدر في نظره عن تصور يختزلها في ذلك الحد الذي ينهي القراءة ويختمها، وإنما في اعتبارها الهامش الذي يفتحها في وجه التأويل والثقافة، لأن رفضها الكلي في هذه الحالة سيكون نابعاً من بلاغة جوفاء، أما نقد الأمريكيين الموجه إلى معناها الكلاسيكي فيجب أن يتم في نظره انطلاقاً من تقديم بديل براغماتي، أي من اقتراح مفهوم جديد لها يكون عملياً وواقعياً وليس ميتافيزيقياً، في إشارة أخرى إلى تصور (Joyce) للنهاية كما جسده في روايته. (Archibald, 2009, p.69).

الواقع أن الروائي (جويس) صرح بأن الأمر يتعلق بالنهاية بما هي تجربة في القراءة، ولا نعتقد أنه يختزلها في ما ذهب إليه الناقد. ويكفي أن نعود إلى كتاب "ISMES" لنقف عند حقيقة اطلاع المنظرين الأمريكيين الواسع على أطروحات النظرية الفرنسية سواء من خلال افتتاح أقسام الأدب الفرنسي في مختلف الجامعات الأمريكية، أو عن طريق ندوات ومؤتمرات الجامعات الأمريكية الكثيرة التي انفتحت على هذه النظرية، أو بواسطة الزيارات التي قام بها البنيويون وعلى رأسهم (Derrida) لهذه الجامعات، والمحاضرات التي قدموها في هذه الأقسام، أو بسبب بعض الملفات التي خصصتها المجلات الأمريكية للنقد ما بعد البنيوي(Boschetti, 2014). وبخلاف ما يعتقد (Archibald)، كان تصور الروائي الأمريكي (Joyce) للنهاية منسجماً مع رؤيته للنص المترابط، ولنمط القراءة الجديد الذي اقترحه وسمح بتحقيقه فعلياً وليس مجازياً أو تأويلياً فقط. وإذا كنا لا ننكر تقارب النظريتين في تطلعهما لانفتاح النهاية، بحكم هذه التأثيرات المتبادلة، فإننا لا نستطيع التنكر أيضاً لدور الترابطية النصية (hypertextualté) في مضاعفة هذا الانفتاح الذي يجعل القراءة تمتد إلى ما بعد ختام النص بفضل مرونته التقنية.

إن انتصارنا لمبدأ الامتداد يفهم منه أن مرحلة النص المترابط "الأمريكية" ليست سوى محطة جديدة ضمن صيرورة تطور مفهوم النص، وما يحيط به من مقولات تتعلق بخصائصه وبمنتجِه ومستهلكه. غير أن هذه المحطة ستقترن، وفق منطق التطور ذاته، بمستجد أول يتمثل في اقترانه بالتقنية التي طالت كل مظاهر الحياة بله أشكال التعبير عن العصر، ثم بمستجد ثانٍ يتعلق بالبيئة الأمريكية التي شكلت أرضية ملائمة لهذا المنعطف التقني. ولا يشكل في نظرنا اقتران "غياب النهاية" بهاذين المستجدين قطيعة في المفاهيم والتصورات وإنما في أشكال التعبير ووسائله أسناده. فاستقرار المواثيق التي سنّها "الكتاب"، لم يمنع مبدعي القرن الماضي من محاولات عدة لتجاوز إرغاماته والتحايل على خطيته، وهو ما يؤكد تباين رؤيتهم لما يجب أن تكون عليه نصوصهم مع ما كان يفرضه عليهم سند الكتابة. فتطور الفكر الإنساني سابق على تطور وسائل التعبير وعلى أسناد تجلي هذا الفكر، بل هو الذي يمهد لتحولهما ويحث على تطويرهما. إن التباين بين الرؤية ووسائل تجسيدها المتاحة هو ما نسعى إلى الدفاع عنه منذ بداية الدراسة، أي أن تطور الفكر الإنساني الذي يجسد مبدأ الامتداد والاستمرارية لا يتزامن بالضرورة مع تحولات جدرية في وسائل التعبير عن هذه الرؤية، وهو أيضاً ما يعكسه عنوان إحدى دراستنا السابقة (عمري، 2020). أما محاولة نقاد نظرية التقارب إرجاع آرائها إلى فتوحات النقد الفرنسي، فكانت غايتها إفراغ هذه النظرية من محتواها، وتأكيد فكرة نزوعها إلى تجسيد بصري ومادي محض لتصورات سابقة. والحال أننا يمكن أن نعكس الآية ذاتها لنعتبر بعض آراء ما بعد البنيويين تجريداً فلسفياً لظواهر نصية موجودة بداهة كما هو شأن التناص، أو النص المترابط الورقي.

1.5 النهاية، رؤية جديدة وفعل استكشافي

إن حديث (Archibald) عن وجوب تقديم بديل براغماتي يكون واقعياً وعملياً وليس ميتافيزيقياً للنهاية هو في الحقيقة ردٌ على ما جاء في كلام (Joyce) عندما ربط النهاية بعياء القارئ كناية عن الشكل المتاهي للرواية الترابطية. وفي الاتجاه نفسه ذهبت (Bourassa, 2010, p.34) حين أكدت أن التقاربيين عامة قد أوّلوا اللبس الناجم عن الجهاز، والمتسبب في ضياع القارئ، بصفته خاصية جمالية، فالخلط الذي يصادفه القارئ في نظرهم ليس سببه سوء تمثله لوجهة الجهاز أو نقص في البرمجة وإنما هو خاصية شكلية تعمل على تجديد توقعات القارئ وتحفزه على بناء نصه الخاص انطلاقا من تلك المقاطع. والحال أن العياء ودوران القصة في حلقة مفرغة، لا يبدوان غريبين و"غير واقعيين" إلا عند النظر إليهما انطلاقاً من تصور جاهز ومسبق لما ينبغي أن تكون عليه في العادة نهاية أي محكي أدبي، وهو تصور لم يستطع التخلص من تلك التقاليد التي رسختها الرواية حتى في أشد أشكالها تحرراً. ولم يلتفت الناقدان إلى أننا بصدد إبدال جديد سبق للحداثة الغربية أن سعت إلى رسم معالمه في أشكال التعبير الفنية، وفي الإبداع الأدبي تحديداً، وهو الإبدال الرقمي الذي ليس في الواقع سوى استعارة لتعقد العالم وتشعبه ولا نهائيته، كما هو شأن الشبكة والترابطية والمجرة والنسيج واللامركزية وغيرها من الصور. فالشبكة العنكبوتية ذاتها متاهة كبرى أو هي أمُّ كل المتاهات حين تعزز ضياع القارئ وعياءه دون أن تشفي غليله، وسبب ذلك كونها دون نهاية مادام المبحر سيد نفسه، وهو من يحددها عن طريق إنهاء الإبحار في أتونها. من الواضح أن (Archibald) يقصد بصفة "الميتافيزيقية" القدحية غياب تخوم مادية للنص، ونقطة ختامه التي يوازيها مآل مقبول أو على الأقل مفهوم للقصة، فالقراءة في نظره تتدخل لتحديد محيط بنية، وإذن فهي ترسم الحدود. والواقع أننا بصدد أدب جديد يُعد تعبيراً عن العصر بوسائل العصر، هاجسه الأساس هو دحض ما يُطَمئن القارئ، ومعاكسة كل ما يُشعره بانسجام الكون وتماسكه وسيره إلى وجهة معلومة، ونسف كل ما يجعله مستكيناً إلى أمان زائف نابع من تحرره من أية مسؤولية تجاه العالم. ولذلك فإن هذا الأدب لا يستميل قارئه إلى تعقّب الأحداث إلى نهاية محددة وسابقة على فعل القراءة، بقدر ما يجعل من عملية البحث عنها غاية في ذاتها. وإذا كان المحكي قد شرع منذ مدة في العدول عن انتظامية خطية تحاكي منطق أرسطو (بداية وسط نهاية)، فإن الرقمي قد جسد هذه الصورة حين عاكس كل ما يوحي بالاستقرار والثبات وتعاقبية الزمن، أو ما قد يضفي نظاماً على عالم لم يعد هو نفسه يتسع لمحكيات منظمة، لكنه سيجسدها فعلياً ونصياً حين قدم للقارئ محكياً شبه مكتمل. فمع هذا الإبدال الجديد لم يعد بوسع الرواية الإمساك بيد القارئ لقيادته في خضم الأحداث نحو مآل معين، ولم يعد بإمكانها التعبير ببناء تام وناجز عن عالم لا يبدو كذلك. لا نرى إذن عيباً في طموح الرقميين الأمريكيين الأوائل، نقاداً ومنظرين، إلى تحقيق حرية القراءة مادياً على الوجه الذي سعت به النظرية الفرنسية إلى بلوغ لهوانية القراءة. فقارئ اليوم، الذي يشكل الفضاء الرقمي أحد أهم انشغالاته، ميال بطبعه إلى التجسيد، فضلا عن أن العصر الحالي برمته هو عصر تجريد المادي، وإضفاء بعد مادي على المجرد. غير أن هذا الطموح يتم في شبكة عنكبوتية صغرى وحقيقة هي النص الروائي الرقمي أو الترابطي وليس في حضن المطبوع.

لقد انتقل الروائي من مالك لسلطة بناء محكي محكم التنظيم إلى منشئ فضاء نصي حيث لا توجد السرود إلا على سبيل الاحتمال، ولا تتحقق سوى بفعل إبحار القارئ. نستحضر هنا برنامج (Storyspace) المعلوماتي الذي صممه (Landow) و(Joyce) و(Joyce)، وهو أول فضاء موجه للكتابة التخييلية الترابطية في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد أصبحت الرواية معه أشبه بمساحة أو خريطة للتجوال متعددة الأبعاد، يجوبها القارئ مثلما يجوب متحفاً أو معرضاً تشكيلياً أو مدينة غريبة. يبدو أن صورة الخريطة التي أثارها كثير من المنظرين الرقميين[1] وهم يتحدثون عن النص المترابط، تعكس بحق نمطاً جديداً من القراءة أقرب إلى فعل استكشافي يحرر القارئ من إكراه الحد النهائي بصفته نقطة ضوء تقع في آخر النفق. يتحول فعل القراءة في هذه الحالة من تتبع مسار محدد يتطلع فيه القارئ إلى نهاية تحقق إحساساً بإشباع داخلي، إلى مجرد تجربة استكشافية لن تتكرر بقضها وقضيضها في قراءة لاحقة. صحيح أن العلاقات بين العقد ليست محددة، ولا تسعف الروابط بالضرورة قارئ النص في نسج هذه العلاقات بسهولة، لكن خريطتها هي أبعد ما يكون عن الاعتباطية. وعلى الرغم من تعزيزها لضياع القارئ، إلا أنها في الحقيقة مرسومة بمنطق التعدد والاحتمال من طرف المؤلف وبواسطة البرنامج. إن الناقد يدافع عن لا تمام الأعمال

1) نقتصر على ذكر بعضهم:

- J. Clément, « Du texte à l'hypertexte : vers une épistémologie de la discursivité hypertextuelle », Hypertextes et hypermédias : réalisations, outils, méthodes, J.-P. Balpe, A. Lelu et I. Saleh (coords), Hermès, Paris, 1995.
- Jean Clément, «Hypertextes et mondes fictionnels ou l'avenir de la narration dans le cyberespace», http://archivesic.ccsd.cnrs.fr
- Gaelle Debeaux. L'Hypertexte et ses prédécesseurs : cartographier un jardin aux sentiers qui bifurquent. Sens public, 2015. ffhal-01785868.
- Hervé LE CROSNIER, « Une introduction à l'hypertexte », Bulletin des bibliothèques de France (BBF), 1991, n° 4, p. 280-294. En ligne : - https://bbf.enssib.fr/consulter/bbf-1991-04-0280-002 ISSN 1292-8399.
- Christian Vandendorpe, Du papyrus à l'hypertexte, Essai sur les mutations du texte et de la lecture, Montréal, Boréal / Paris, La Découverte, 1999.

الطليعية وانفتاحها بصفتهما خاصيتين توقظان فينا تطلعنا الطبيعي إلى الختام، لكنه يرفض ذلك عندما يتعلق بالغاية نفسها في الرواية الترابطية.

2.5 نهايات القارئ أو حين يمنح بيجماليون حياة للنص

يبدو أن (Archibald) يصدر عن مرجعية واقعية مادية لمفهوم النهاية، ولعل مصدر هذه المرجعية راجع بالأساس إلى أنه يحتكم إلى رؤية ورقية لنص غير ورقي. ويجوز القول في هذه الحالة: إن عجز نظرية التقارب عن النظر إلى مفاهيم (french theory) إلا من كوة التكنولوجيا، يقابله رد فعل (Archibald) الذي عجز بدوره عن تمثل ممكنات النص المترابط إلا من منظور إرث نظري ورقي. ويظهر ذلك في رفضه لرفض النهاية مدافعاً عن حتمية وجودها في جميع الأحوال؛ فالنهايات والبدايات في أعراف النقاد هما بالذات ما يبحث عنه القراء في الرواية كما يقول. ولعل ما يُستشف من هذا الموقف "المحافظ" هو تشبثه الواضح بمنطق الحبكة الأرسطية الذي انصاع له المحكي الأدبي طيلة تاريخه الطويل مع استثناءات قليلة، حتى لا نقول انتصاره الواضح لرؤية فرنكوفونية لما بعد البنيوية.

يذهب الناقد إلى أن القصص عموماً لا يمكن أن تحمل هذه الصفة إلا ببداياتها ونهاياتها، ويُفترض في النصوص التخييلية الترابطية ألا تشذ عن هذه القاعدة، فهي منتهية مثل الكتب مع استحضار الفارق طبعاً؛ إنها تحتل حيزاً من ذاكرة الحاسوب الصلبة شأن الكتاب الذي يحتل بدوره مكاناً على رفوف المكتبة. لكن الجدير بالاهتمام هو أن الناقد يتحدث هنا عن تلك الحدود التي يتحيز داخلها وفيها النص، وعن انتهاء كتلته المادية، وليست هذه الحدود سوى أحد مظاهر النهاية التي كان يقصدها جويس بعباراته الأقرب إلى المجاز. ثم إن السند الإلكتروني لا يسمح للقارئ بإدراك النص في كليته أو بتكوين صورة شمولية عن حجمه على الأقل، بخلاف نظيره الورقي الذي يرتسم مادياً على الأقل في صورة مكتملة وتامة منذ الوهلة الأولى وقبل قراءته. وفي هذه الحالة سيكون بحثه عن النهاية في الأول أصعب وأعسر مما هو عليه الحال في الثاني؛ ففي هذه الحالة الأخيرة، وهي حالة المطبوع، يلتقي عبوره للوسيط وعبوره للمحكي دائماً عند نقطة واحدة وهي الصفحة الأخيرة. ونرى أنه لا يجوز إخضاع عجز القارئ عن تحديد موقعه في النص الأول (الرقمي) لمنطق سهولة استشرافه للنهاية في النص الثاني (الورقي)، والسبب أنه منطق صادر عن مادية النص وليس عن مواثيق المحكي الأدبي الذي جعل من الخرق ثابته الأساس.

إننا نشاهد اليوم أفلاماً ونقرأ قصصاً نتفاجأ فيهما بالنهاية قبل النهاية، لكننا لا نعدم حيلة أو بعضاً من الخيال، مصدرهما طبعاً الأحداث ذاتها وموسوعتنا الثقافية، واستعداداتنا، لإتمام القصة وإيجاد نهاية. ونكاد نجزم أنها الحالات النادرة التي نحتفظ فيها بالفيلم أو بالقصة في ذاكرتنا أكثر من غيرها التي تكون فيها النهاية محددة ومفهومة وأقرب إلى تفسير ما وقع. ولا شك في أن السبب وراء ذلك يكمن في هذا الاستثمار الإيجابي والفعال لقسط من خيالنا أولاً، ولإحساسنا ببعض المسؤولية على الشكل النهائي للعمل ثانياً، ولتلك الفسحة التي تركها المبدع لتدخلاتنا المتجددة التي تورطنا وتجعلنا جزءاً من هذا العالم التخييلي، أي لنهاياتنا غير النهائية التي نعيد فيها النظر في كل مرة برؤية جديدة وبأحاسيس مغايرة وضمن سياقات مختلفة وفي أزمنة متباينة ثالثاً. وبعبارة أخرى إن غياب النهاية في هذه الرواية الترابطية مصدرها غيابُ حدٍ نهائي للورق الإلكتروني، وانتفاءُ حدودٍ واضحة وملموسة لتخوم النص، وتحديداً لصفحته الأخيرة وليس مصدرها غياب النهاية مطلقاً بالمعنى الجنسي أو الجنساني. وكما يقول (Hillis Miller) على لسان (Landow, 1992, p.115) إننا لا يمكن أن نتجنّب نزوعاً إلى إحلال عدد من العلاقات بين أحداث متفرقة أو حتى فور وقوعها مثلما يحدث مع خيوط شبكة عنكبوتية متخيلة منسوجة دون تخطيط مسبق. فالقراءة هي دائماً نوع من الكتابة أو هي كتابة ثانية شبيهة بفعل تشخيصي يجعل النص يحيى حياة جديدة مثلما فعل (بيجماليون) مع تمثاله العاجي (جالاتيا) الذي نحته بيديه وعشقه فمنحه الحياة بإيعاز من آلهة الحب (أفروديت)، وكأن الأمر يتعلق بنزوعنا الحتمي إلى تصور نهاية ما لبداية ما. تكاد تنطبق أسطورة (بيجماليون) هذه على صورة القارئ المؤلف بصفته "قاتبا" (قارئاً.كاتباً)[2]. صحيح أن قارئ (Barthes) في نصه المنكتب بإمكانه التنقل في النص بمحض إرادته على نحو يكسر به خطية المطبوع وينفلت من قبضة المؤلف وسيطرته، لكن قارئ النص المترابط الذي يفتقد إلى هذه الحرية في نظر (Aarseth) (Bourassa, 2010, p.36) يمكنه تعويضها بحرية أوسع عن طريق خلق ترابطات أخرى غير مفروضة

2) تكاد تجمع الدراسات المهتمة بالنص الرقمي على أن فعل القراءة ينصهر بفعل الكتابة. وقد حاول المنظرون الاصطلاح على انصهار هذين النشاطين بمصطلحين مختلفين؛ ونعتقد أن مصطلح "lectature" الذي وضعه (Jean-Louis, Weissberg) في المقال أسفله يقدم فعل القراءة على فعل الكتابة بخلاف مصطلح "écrilecture" الذي ابتكره (Pedro Barbosa) في أطروحته سنة 1992 حول "تحولات الواقع: الإبداع الأدبي والحاسوب". ولما كانت العربية قد سمحت بنحت مقابل عربي للمصطلح الثاني وهو "الكتاءة" الذي لا يعني شيئاً آخر سوى هذا التداخل بين النشاطين، فإنها من دون شك تتسع لنحت مقابل عربي آخر للمصطلح الأول الذي يقدّم فهل القراءة على الكتابة ونعني به "القتابة". فإذا كان القارئ يشيد نصاً خاصاً به (أو يكتب) في أثناء قراءته، فهو أيضاً يقرأ بموازاة كتابته. ولا يجب أن نغفل مصطلح "lect-acteur" الذي أشار إليه (فيليب بوطز) ويقصد به القارئ الفاعل.
بالنسبة لمصطلح "lectature" يرجى العودة إلى:

- Weissberg Jean-Louis. Figures de la lectature. Le document hypermédia comme acteur. In: Communication et langages, n°130, 4ème trimestre 2001. Dossier : Fonction éditoriale et Internet. pp. 59-69. doi : 10.3406/colan.2001.3107 http://www.persee.fr/doc/colan_0336-1500_2001_num_130_1_3107

عليه في شكل روابط جاهزة وإنما من ابتكاره هو أيضاً. إن التنقل في نسيج النص على سبيل المثال أو ربطه بغيره من النصوص الغائبة التي يحاورها يكون، شاء القارئ أم أبى، بإيعاز من هذا النص ذاته ومن مؤلفه أيضاً، بمعنى أن خريطة العلاقات التناصية التي يسبح في نسيجها القارئ يحددها النص المقروء بوعي من مؤلفه أو بدونه، أما الوجود المسبق للروابط الرقمية فلا يوجه تنقلات القارئ إلا بالقدر الذي توجه به خطية المطبوع وتتابع صفحاته وفقراته وأسطره حركية القراءة.

3.5 الرابط توسيع لتناصية النص

إن الرابط الذي يتخلل مساحة نص الشاشة، أي الرابط الآلي القابل للتنشيط، ليس مجرد علاقة ممكنة بين نصين (أو عقدتين) تصبح كائنة بعد التنشيط، لأن فهمه بهذا المعنى لا يختلف عن مفهوم الإحالة أو عن بعض الروابط الظاهرة والعلنية في النصوص الورقية، أي ترابط النصوص الذي يفيده المعنى الأبسط للتناص. ولذلك لا يجب أن يغيب عنا السياق العام الذي احتكم إليه نقاد نظرية التقارب؛ فقد أنجز (Archibald) أطروحته سنة 2008 بجامعة كيبك بمونتريال، وقدمت الباحثة (Renée Bourassa) أطروحتها للمناقشة في الجامعة ذاتها وفي السنة نفسها. وبصرف النظر عن تشابه آراء الناقدين في أطروحتيهما، وخاصة في موقفهما من وظيفة الرابط التوجيهية، فالحقيقة أنهما سيتأثران معاً بآراء (Espen J. Aarseth) الباحث بالجامعات النرويجية (كوبنهاجن) و(بيرجن) التي عبر عنها في أعماله المنشورة منذ 1995، أي بُعيد كتابات (Landow) مباشرة. وفي السياق ذاته تستشهد الباحثة (Bourassa) بما ذهب إليه الباحث النرويجي الذي كان من أوائل المعترضين على فكرة ملاءمة مفاهيم (Barthes) مع الجهاز التكنولوجي للنص المترابط، والرافضين لما نعته بـ"رهاب" ضياع القارئ حين يسعى إلى نسج مساره في متاهة ترابطية بحثاً عن روابط جديدة. وعلى هذا الأساس لا يجوز في نظره مماثلة قراءة نص خطي، حيث حرية القارئ في معاكسة هذه الخطية تتجاوز سلطة المؤلف ورقابته من جهة، مع ضياع قارئ النص المترابط الذي يكون ملزماً، وهو يستكشف المتاهة، باتباع توجهات المؤلف المحددة على نحو مسبق. وتخلص الباحثة إلى أن انتقال النص إلى وسيط جديد يحقق من دون شك احتمالات جديد للكتابة وفضاء جديداً للقراءة أيضاً، لكنها تشكك في قدرة هذه العوامل على تشكيل قطيعة مع تلك المحددات النظرية التقليدية الفاصلة بين المؤلف والقارئ، لتنتهي إلى أن الجهاز النصي الترابطي في ذاته لا يلغي النموذج النظري الذي يفصل بين القارئ والمؤلف والنص(Bourassa, 2010, p.37).

والحال أن هذه التصورات المتقدمة في الزمن تكتسي أهمية قصوى من دون شك، غير أنها لم تأخذ في الحسبان دور أسناد الكتابة والقراءة الحاسم في تغيير علاقتنا بالمعرفة عموماً، أي طريقتنا في تداول النصوص إنتاجاً واستهلاكاً. فلا يجب أن يغيب عنا أن شيوع القراءة المجهورة والمسترسلة والخالية من الوقفات، بصفتها امتداداً للشفهية، كرسته حوامل النصوص الأولى التي كان يحاكي فيها المكتوب الشفوي. ولا يمكن بأي حال من الأحوال أيضاً أن نتجاهل حقيقة أن كل "تكنولوجيا هي في الحقيقة تعبير عن ثقافة، وهي بالمثل محول محتمل لهذه الثقافة (...) فمنذ اللفافة والكوديكس وصولاً إلى عصر الرقمنة، لم تتوقف القراءة عن التطور والثقافة عن التحول"(Bélisle, 2011, p.19). إن هذه المنعطفات التي عرفتها أسناد الكتابة لا تمس طبيعة النصوص فحسب وإنما تطول طبيعة القراءة أيضاً؛ فمناورة صفحات المطبوع والقراءة المجهورة، باعتبارهما نوعاً من الانخراط الجسدي في فعل القراءة، كان لهما تأثير كبير في طبيعة النصوص عند ظهور مفهوم الكتاب، وهو الأمر الذي خصه بعناية خاصة سواء في مبحث مستقل ضمن كتاب جماعي (Souchier, E, 2003)، أو في أحد حواراته (عمري، الطاهري، 2024). غير أنه إذا كان قلب الصفحة في النص المطبوع، بصفته حركة آلية، لا يَفترض بداهة أي تأويل خاص لهذا النص، فإن تنشيط الروابط اللسانية والأيقونية في الإبداع التفاعلي يظل في حد ذاته فعلاً تأويلياً.

وبخلاف الكتاب الذي يقدم نفسه في بنية مادية تامة وناجزة، وفي هيئة فصول وفقرات متتابعة أو منظمة، لا يتجلى نصنا الرقمي إلا في شكل شذرات تحتمل علاقات مضمرة وممكنة يحقق الإبحار بعضها، أو في صيغة شبه منظمة تنتظر تدخلات ماديةً للقارئ. ولعل هذه الرغبة في إشراك القارئ في بناء النص فعلياً، هي التي طالما راودت الروائيين على وجه الخصوص حتى قبل ظهور الجهاز الرقمي. ولذلك كانوا أول المتحمسين لهذه الإمكانيات التفاعلية والترابطية، وكانت الرواية أول المستفيدين منها أيضاً، وأصبحت اليوم أرقى تجلياته الأدبية. فقد تحول القارئ في الرواية التفاعلية، إلى مؤلف ثان اقتحم كواليس كتابة المؤلف الأول، ولم يعد مكتفياً بالقراءة، بل بات يناور النص بفعل تنشيط يصل به المقاطع، ويعيد تنظيمها من منظوره الخاص، مشيداً نصه "المقروء"، ضمن النص الكلي الممكن، أي "النص الموجه للقراءة"[3]. غير أن

3) يقصد بالنص الموجه للقراءة (texte à lire) مجمل النص الرقمي الذي ألّفه المبدع وضمّنه مسارات قرائية في شكل احتمالات متعددة واختيارات متنوعة يحسم فيها القارئ، لكن تعدد الاحتمالات، وإن كان يعادل أو يفوق تنوع الاختيارات، يفترض فيه أن يفضي في نهاية المطاف إلى تجربة إبداعية مكتملة، أي إلى قراءة رواية (مثلاً) حتى وإن ظلت اختيارات أخرى لم تتحقق وروابط أخرى ظلت دون تنشيط. أما النص المقروء (texte lu) فهو ما حازه قارئ ما من هذا النص "الكلي" وشكل بالنسبة إليه تجربة مكتملة أيضاً حت في حال إدراك هذا القارئ تمام الإدراك عدم استنفاذه لكل مسارات القراءة وتفعيله لكل الروابط. ففي رواية "afternoon a story" التي تتوفر على (539) عقدة و(950) رابطاً، يستحيل على أي قارئ تنشيطها كلها في تجربة قرائية واحدة، وسيكون ملزماً بتنشيط عدد منها في كل مرة، غير أنه سينتهي في كل الأحوال إلى "نص روائي" مكتف بذاته قريب أو بعيد عن الأول وناجم عن نظام تنشيط مغاير. إن النص المقروء ليس جزءاً من نظيره الموجه للقراءة وإنما هو الوجه المُتحقق من شبكة المسارات الممكنة. ولا يجب أن يفهم من هذا التوصيف أن الأمر يتعلق بروايات متعددة مدغومة في نص واحد، وإنما بتنويعات تتخذ شكل مسارات لا في مستوى القصة فحسب، وإنما أيضاً

الروابط هنا ليست محطات عبور عشوائية تفضي إلى نصوص معزولة، وليست كذلك علامة تشوير تقود رأساً إلى النص الموالي، بل هي كلمات أو أيقونات برزخية، أو منعرجات يتشعب عندها النص، كما الأحداث والقصة، في اتجاهات أخرى كجذمور لا مركز له[4]. إن وظيفتها التقنية الجديدة، وجاهزيتها للانفتاح تمنحان النص بعداً ثالثاً وتقويان فضول القارئ لاكتشاف النصوص المنكسفة[5]. وبهذا المعنى صارت أقرب إلى بؤر توتر وتردد حقيقية تلقي بالقارئ في دوامة الاختيار بين الاسترسال في قراءة المقطع الظاهر وإتمامه، أو الاستجابة للذة الاكتشاف التي تأبى إلا أن تعترض سبيله. وبفضل هذه الترابطية المعلوماتية، يتحول القارئ إلى مؤلف في كل مرة يُرغَم فيها على الربط بين الوحدات على نحو دال، ويشد الرحال مسافراً نحو عقد أخرى ليس لأنها الصفحة الموالية بل بحثاً عن علاقات دلالية ممكنة. يمثل مسار القراءة هنا بالنسبة للنص المترابط ما يمثله التلفظ بالنسبة للغة (Clément, J, 1995)، لكنه أشدُّ اقتضاء من أي قراءة خطية، لأن ملاءمة المقروء للسياق تظل موضع مراجعة باستمرار (Vignaux, G.A, 2001). وإذا كان قلب الصفحة أو الانتقال إلى الفصل الموالي في الكتاب سلوكاً شبه تلقائي وعفوي صادر عن تنظيم المؤلف للنص، وعن رؤيته الخاصة لما ينبغي أن تكون عليه قراءته المادية، فإن تنشيط الروابط لا يخضع لمسار محدد إلا في حالات نادرة، ولا يكون اعتباطياً بالمعنى الذي يعنيه الإبحار العشوائي في الشبكة، بل هو سلوك واع ومحكوم بغاية محدد تتمثل، شأن أي قراءة، في بناء نص، أي أنه خطوة ضرورية لبناء المعنى. تتحقق هذه التفاعلية إذن بإقبال القارئ على روابط بعينها وإعراضه عن غيرها، أي باختيارات ملموسة لا تقوده إلى تأويل مغاير فحسب، بل إلى إنتاج نص مختلف في كل مرة يعدل فيها عن اختياراته السابقة (عمري، 2012، ص.139).

يبدو أن هذه المواقف ظلت سجينة رؤية ضيقة تمثلت في طبيعة النصوص التي كانت مصدر أحكامهم، وهي نصوص بدائية من جهة، وفي التطور الذي بلغته الأسناد الرقمية وقتئذ من جهة ثانية. فقد شكلت قواعد البيانات أو الموسوعات مرجعاً بالنسبة لمصممي النصوص الترابطية الأوائل. وكانت الروابط في هذا النمط من النصوص العلمية تؤدي كما هو معلوم وظيفة الإحالة أو التوثيق أو الشرح أو التفصيل أو التعليق، وما زال الرابط حتى وقتنا الحاضر يقود فيها رأساً إلى عقدة بعينها ليكشف نصاً له علاقة بسياق الرابط في ما يشبه الإحالة (كما هو حال موسوعة ويكيبيديا على سبيل المثال لا الحصر). وبالنظر إلى السبق الذي حققته تجليات النص المترابط في هذا المجال التوثيقي وفي الكتابات العلمية أيضاً، فمن الطبيعي أن تعمل التجارب الإبداعية الرقمية الأولى، ومنها رواية (Joyce) بنسبة أخف، على محاكاة هذا النموذج. ولهذا نعتقد أنه السبب الذي حدا بهؤلاء النقاد إلى التركيز على الوظيفة التوجيهية للرابط دون سواها، خاصة وأن متون قراءتهم تعود إلى الفترة نفسها. غير أن الإبداعات الرقمية اللاحقة ستستفيد من مرونة الرابط، ومن تطور البرمجيات والأجهزة لتوسيع هامش حرية القارئ وتنويع اختياراته، خاصة وأن غاية العمل الأدبي التخييلي مغايرة لتوثيقية النصوص العلمية، ولغة التعبير فيهما تختلف في الطبيعة والوظيفة. وإذا كان القارئ هو من ينسف خطية النص المطبوع وينتج علاقاته مع غيره، فهو أيضا من سيتمرد على روابط نظيره الرقمي الجاهزة، فالاعتراض على أي فرض لمعنى ما يمكن تأويله بوصفه مؤشراً على رفض نظام أسسه التقليد الأدبي ولغة التعبير ذاتها(Clément, &, Saemmer, 2024).

إن الرابط بمعناه الرقمي يصبح في النصوص الترابطية عموماً والإبداعية تحديداً مولداً للمعنى وموروطاً للمبحر في خلق علاقات جديدة لا وسع للمؤلف نفسه على التكهن بها أحياناً، وكأنه يساهم في توسيع تناصية النص بخلق ترابطات جديدة، فالتناص ليس مجرد وسيلة تجعل العلاقات الموجودة بين النصوص مرئية فحسب، بل هو أيضاً ما يجعل هذه العلاقات تتحدد وتتأسس (...)، فالترابطية النصية تمتلك مجموع العناصر الوظيفية التي تسمح بتهيئ شروط الدينامية النصية التي تحدثت عنها (Kristeva, 1969, p.52). ويعتبر (Clément) في هذا

في الخطاب أيضاً. ففي المستوى الأول القارئ هو من يحسم في أحد مآلات الأحداث وهو أيضاً من يؤلف بين شذرات ونصوص الشاشة. وهو الأمر الذي حدا بالمنظر والشاعر الرقمي الفرنسي (فيليب بوطز) إلى التصريح بأن التخييل الترابطي وُجد لكي يُكتب وليس لكي يُقرأ، وهو ليس رواية وإنما لا يصير رواية إلا عندما يقرأ (Philippe Bootz، 2006). يُنظر الرابط: http://archive.olats.org/livresetudes/basiques/litteraturenumerique/biographiePhBootz.php

4) الجذمور "شكل من أشكال الوجود التي تبرز التعدد، وأن تشهد على المرجع أو الأصل الواحد. فالجذمور بخلاف الشجرة ليست له وضعية أو نقطة محددة، وإنما يعبر عن نفسه بواسطة الخطوط (العلاقات) فحسب، فليست للجذمور بداية ولا نهاية، لكن له دائماً وسطاً (ليس مركزا) ينمو عبره ويطفح، ومن أهم خصائص الجذمور أن له مداخل متعددة، وأنه يتضمن ممرات ومسارب للانفلات. ولعل أساس العلاقة بين مختلف النقط المتضمنة في الجذمور، إن أي نقطة يمكنها أن ترتبط بأي نقطة أخرى داخل نفس النسيج، بل ويلزمها ذلك. ويبدو أن هذا التعريف ينطبق في مجمله على النص المترابط، ينظر: محمد ايت حنا، الرغبة والفلسفة، مدخل إلى قراءة دولوز وغْوتاري، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 2010.

5) نقصد بالنص المنكسف ذلك المقطع النصي الذي يختفي (أو ينكسف) فور تنشيط الرابط، فاسحاً المجال لنص آخر ينبثق من صلب الشاشة هو "النص المنكشف". غير أن انكساف نص الشاشة وانكشافه الفجائيين لا يخلوان من تداعيات على القراءة. ولعل أولى هذه التداعيات هي أن القارئ لا يملك صورة شمولية عن النص الذي "بين يديه"، فهو لا يرى منه سوى صفحة واحدة يعجز عن تحديد موقعها في النص الكلي، وما يترتب عن ذلك من عجز عن تحديد حجم ما استهلكه منه بخلاف قراءته لكتاب ورقي حيث لا يفصل القارئ بين توقعاته المتجددة للنهاية من جهة، وما تبقى من كتلة النص المادية. ثم إن انكشاف نص ما على إثر تنشيط رابط ما لا يعادل بأي شكل من الأشكال قلب الصفحة، فالأول فعل اختياري قدم تلائم نتيجته توقعات القارئ أو العكس، أما الفعل الثاني فهو قسري بمنطق تتابعي يجعل من الصفحة اللاحقة تابعة بالضرورة للصفحة السابقة بناء على تنظيم ارتضاه المؤلف وتؤكده أرقام الصفحات.

السياق أن مجرد وضع روابط بين (وفي) مجموعة نصوص أو وثائق يكون كافياً لتنسيب درجة جهل المستعمل بالمعلومة، أي تقليص للأنتروبيا لأنه سيفضي حتماً إلى تناسل معلومات أخرى[6]. واستحضاراً لاستعارة "البستنة"، تعمل البيئة النصية الترابطية على إنبات المعلومة، لأن النظام الذي يخضع له تنشيط الروابط يُنشِئ تلقائياً مسارات متعددة لدرجة لا تخطر على بال الكاتب، وكل مسار منها يتحول إلى مولد لمعلومات جديدة (Clément, J, 2000, p.53). بهذا المعنى يتم تجسيد تعدد الخطيات بواسطة مضاعفة المسارات الثاوية خلف الروابط والمدرجة في سياقات عدة. إن النص المترابط يغدو في هذه الحالة شبيهاً بلعبة تتحدى القارئ في البحث عن المجهول بانتقاله بين المقاطع عبر الروابط(Alaman,A,P, 2004). وبهذا الشكل تتكسر فكرة قدرة المؤلف على التنبؤ بشكل قراءة القارئ. فالمؤلف، في هذه الحالة، يفقد اعتقاده بالتحكم في أفق انتظار القارئ (كرام، 2009، ص.56). فالترابطية، وإن كانت لها صور سابقة على ظهور الحاسوب، هي مبدأ تنظيمي أو تقنية، بل أهم تقنية للنص الرقمي. والدليل على ذلك هو أن النصوص الرقمية الأولى، أي قبل تطور الحوامل الرقمية والبرمجيات المعاصرة هي نصوص ترابطية بامتياز، سواء تعلق الأمر بالنصوص العلمية أو الموسوعات الإلكترونية أو قواعد المعطيات أو غيرها. وقد فطن قارئ هذا المقال بلا ريب إلى ترددنا في نعت رواية (Joyce) بالرقمية تارة والترابطية تارة أخرى. ونعتقد أن الترابطية النصية حاضرة فيها ومهيمنة بما هي أول مظاهر الرقمية المعاصرة، أما صفة الرقمية فهي أعم وأشمل كما سيبدو ذلك في الأعمال اللاحقة، فهي تضم مظاهر رقمية أخرى تظل الترابطية أهمها مع ذلك.

وكما أن المعلومة ليست قارة في مكان واحد أو على هيئة ثابتة في قواعد المعطيات الرقمية، فإن الوجهة التي تقود إليها لم تعد كما في المكتبات والموسوعات الورقية مؤسسة بشكل نهائي، مانحة للباحث عنها فرص نسج خيوط علاقات جديدة مع غيرها السابحة في اللامكان، كذلك يُخضع النص الأدبي وحداته لهذا البناء الهش والمرن، أي لشبه تنظيم تسنده لغة البرمجة الخفية وتجهّزه باحتمالات تشكيلية لا حدود لها. ولعل هذه الجاهزية أو القابلية الواسعة لتدخلات القراء الفعلية والتأويلية هي ما يميز النص المترابط، أي مضاعفته لانفتاح العمل الأدبي عن طريق إرساء ما سماه (Clément, 1995) بالتلفظ المشّاء (énonciation piétonnière)، فنحن نجوبه مثلما نجوب فضاءات وأمكنة وخرائط، لكن مفترقات طرقه الكثيرة تحتم في كل مرة على الراجِل اتخاذ قرارات والحسم في اختيارات.

إن تنقلات القارئ في النص المترابط لا يمكن أن تحد من خيال القارئ، فالأمر يتعلق بنص إبداعي تضطلع فيع لغة التعبير بوظائف إيحائية أبعد ما يكون عن التوجيه أو الإحالة المباشرة كما هو شأن قواعد المعطيات، ثم إن تعدد الروابط في النصوص الترابطية الجديدة يسمح للقارئ بإحلال علاقات جديدة بين وحدات النص من جهة، وبين هذا النص وغيره من جهة ثانية. وبمعنى آخر بات القارئ مسؤولا عن إعادة تنظيم النص أولاً وعن خلق شبكة تناصية خاصة به ليست بالضرورة في حسبان المؤلف ثانياً.

من البديهي أن قارئ النص الورقي يتمتع بحريته في القراءة بشكل خطي أو غير خطي، أي عن طريق القفز على مقاطع معينة، غير أن قراءة نظيره الرقمي التي تتم عبر الانتقال من شاشة إلى شاشة أخرى هي بخلاف الكتاب ليست مرادفاً لسلسلة متتابعة. يرتحل القارئ هنا باستمرار من كتلة نصية إلى أخرى بسبب نمط خاص من العلاقات التي يعمد إلى نسجها بين هذه العقد، وليس لأنها الصفحة الموالية. إنه يشيد معنى بموازاة بناء نص، أي أنه، كما عبر عن ذلك (Georges Vignaux, 2001) مدعو تفاعلياً إلى أن يتحول إلى مؤلف في كل مرة يكون ملزماً بالربط بين العناصر النصية على نحو دال. فهو من يوجد الخيط الناظم، وعليه تلقى مسؤولية تحيين مسارات تظل في حكم الإمكان بدون تدخلاته. إن هذه الدينامية التي صار يتمتع بها النص الرقمي تتطلع، على حد تعبير (Vandendorpe, 2009)، إلى لقاء دينامية المحادثة، مزيلة بذلك الحدود التقليدية التي كانت تفصل المؤلف عن القارئ.

إن الروائي كما هو معلوم يبني عالماً تخييلياً يظل في كل الأحوال بناء مكتملاً وفق رؤيته، ولا بد لهذا العالم أن يتحيز نصياً في حدود مادية، وعلى القارئ أن يقرأه بهذه الصفة وليس بصفته كيانا مبتوراً أو شذرات نصية تسبح بشكل أعمى في فضاء عشوائي لا حدود له. ومهما تعددت مسارات إبحار القارئ في هذا الفضاء وتشعبت روابطه فستظل مساراته وروابطه من تأليف المؤلف ومن تصميمه وتخطيطه. صحيح أن التسلسل والنهاية هما ما يحدد هوية المحكي بصفة عامة، إلا أنهما سيخضعان في الرواية الرقمية إلى نوع من الخلخلة وإلى إعادة نظر جذرية صادرة عن رؤية المبدع لعصره وواقعه، وصادرة أيضاً عما يتوفر عليه من إمكانيات ومن وسائل للتعبير. إن نتائج هذا الاختيار الفني ستكون أبعد ما يكون عن السطحية أو الموضة العابرة؛ فقد تم تعويض النهاية بترقبها والتشويق إليها، والتسلسل بمنطق التشذير والتجزيئ. ولم تعد النهاية محددة بالنص المترابط وفيه، بل بات القارئ هو من يحسم في نهاية تجربته في القراءة وليس في نهاية القصة، أما معايير هذا القرار فليست هي اكتمال الحدث وإنما توقف القصة أو الأحداث عن التطور (Gervais & Xanthos, 1999, p.117). قد يكون هذا الإبدال مناقضاً للتصورات القائمة لكنه ليس كذلك بالنسبة لعصر بات فيه الشك والريبة والتوجس والتعقيد وانهيار الأقانيم والنواميس والثوابت حقيقة. والواقع أن هذا ما كانت تسعى إليه التجارب الروائية الطليعية التي أشارت إليها (Bourassa) نفسها، وقدمها (Archibald) أيضاً دليلاً على سبقها إلى نسف النهاية. وقد سبق لـ(Clément) في أكثر من مناسبة، أن اعتبر النص الترابطي التخييلي شكلاً آخر للرواية الحديثة، فهو يعكس أسطورة

6) الأنتروبيا بالنسبة للمتخصصين في الدينامية الحرارية هي: قياس جهلنا في لحظة ما بحالة نسق أو نظام ما. وقد وظف (Jean-René Ladmiral) مفهوم الأنثروبيا في نظريته حول الترجمة بمعنى ضياع حتمي لجزء من المعنى في أثناء ترجمة نص ما إلى لغة أخرى.

كون مفكك ومنثور ومشتت وشذري ومتقطع، يبحث فيه الإنسان عن هويته ويسعى إلى نسج خيوط تصله بأنداده (1994, p.36). ولذلك يعتقد (Bernard,M, 1993) أن النص المترابط ليس في الواقع سوى تعبير عن واقعنا وعن طريقتنا الجديدة في التفكير، أما بالنسبة للناقد الأدبي الأمريكي (Stuart Moulthrop) فذهب إلى أبعد من ذلك حينما اعتبر منذ 1993 أن معاكسة النص المترابط لمنطق التراتبية ستفضي إلى نتائج ثورية لعل أهمها إعادة بناء أساس لإنتاج النصوص وتلقيها معاً، وأيضاً تحجيم لكل الميطا محكيات التي تسعى إلى إضفاء نوع من الشرعية على المجتمع وعلى أنماط التفكير القائمة، وتجريد معاييرها من سلطة تفسير الأشكال الجاهزة بواسطة أفكار مسبقة. إن الرهان هنا هو نهاية قواعد شرعنة الخطابات وخلخلة بنياتها السلطوية (Gervais & Xanthos, 1999, p.117). فالأمر بالنسبة للتقاربيين لا يتعلق بإلغاء الانسجام الشكلي لفضاء الكتابة، وإنما باستكشاف أشكال سردية جديدة.

إننا نتفق مع (Archibald) ومع غيره ممن نظّروا للنهاية بأن المحكي لا يحمل هذا الاسم إلى بوجودها، لكن نهاية المحكي الترابطي بخلاف السائد هي تجربة في القراءة أكثر مما هي نهاية تشبع فضول القارئ أو تضع حداً قاطعاً للنص. وإذا ما استحضرنا رؤية نهاية القرن الماضي وبداية الحالي إلى العالم بصفته ينحو إلى تعقيد متزايد تعجز فيه المآلات عن تفسير البدايات، سنخلص إلى أن نهاية النص المترابط كما تصورها منظرو الضفة الغربية للأطلسي هي تجربة فردية وليست معطى خارجياً جاهزاً؛ هي مسار يُحدَّد وليست مصيراً محدداً، هي قرار يُلقى على كاهل القارئ الخائض في تجربة القراءة الحسم فيه وليست قدراً مرسوماً من طرف غيره حتى وإن كان هذا الغير صاحب النص نفسه. لقد أدرك المبدع في الغرب أن السر وراء استفراد الآخر بقرارات تحدد مصائر الناس والمجتمع كامن في تحديد مسبق للنهايات الموجهة بالبدايات، وفي استبعادهم من أي مساهمة في إيجاد معنى للعالم وللوجود وللمستقبل. ولذلك بات الإبداع ومعه المبدع أميل إلى تحميل القارئ أعباء مسؤولية تشييد شكل نهائي للعالم الروائي، وتكليفه بتحديد نهاية أو نهايات تُشعره بحريته وتستميله إلى ممارستها، في الوقت الذي كان يكتفي سابقاً بتذمره منها أو تزكية نتائجها.

4.5 تحولات تكنولوجية واستمرارية بلاغية

عندما نتأمل انتقادات (Archibald) الناقد والقاص والمسرحي الكندي لنظرية التقارب لا نجدها منصبّة في الحقيقة على فكرة التجسيد ذاتها، بقدر ما نجدها موجهة بالأساس إلى دور التقنية في هذا التجسيد. فلا ضير في أن تلتقي الأفكار اللاحقة مع السابقة، لكن ما لم يستسغه الناقد هو مبالغة هذه النظرية في تثمين القوام التقني وتحويله إلى أداة سحرية لا تكتفي بتحقيق هذا التقارب، وإنما تتجاوز ذلك إلى تجسيد أفكار ما بعد البنيوية وإعطائها شكلاً ملموساً ومدركاً، وتحقيقها مادياً على نحو محسوس يخاطب حواس القارئ. لكن الظاهر أن ناقدنا نفسه ظل حبيس تصور نظري صرف على الرغم من وعيه العميق بآراء المدرسة الفرنسية. والقصد هنا هو أن انفتاح النص كما حدده (Barthes) على سبيل المثال، هو بدوره أقرب إلى الصورة النظرية المتعالية التي لا تخلو من مثالية. صحيح أن هذا الانفتاح قد تحقق بنسب متفاوتة في كثير من التجارب الروائية الرائدة وعلى رأسها الطليعية، لكنه سيظل في جميع الأحوال انفتاحاً نسبياً عند مقارنته مع صورته النظرية التي رسمها (Barthes) نفسه. ولا تخلو الإيحاءات التي تشي بها مصطلحات الشبكة والمجرة والنسيج وتعدد المداخل، الدالة على انفتاح مطلق للنص، من بُعد مجازي واستعاري حتى لا نقول "ميتافيزيقي"، وإذن فهي أوسع وأكبر من أي تجل نصي أو تحقق إبداعي فعلي مهما بلغت درجة انفتاحهما. ولهذا السبب نعتقد أن انفتاح النص المترابط مثلما بشّرت به المدرسة الأمريكية، لا يعدو أن يكون محطة من محطات تحققه ليس إلا، تماماً مثل ما سعت إلى ذلك النصوص الورقية في مراحل سابقة، وأحد هذه التطلعات التي وجدت في تنظيرات الفرنسيين بعضاً من مشروعيتها ومبررات وجودها.

صحيح أيضاً أن هذه الجهود النظرية قد تخلقت في بيئة مختلفة، ولم يكن يخطر ببال روادها أن تصادف في يوم من الأيام ممارسات وتطبيقات وسائطية يستحيل عليهم تصورها آنذاك، إلا أن الشبه بين تطلعات كليهما كبير إلى الحد الذي لا يمكن تجاهله. وفي الحالتين معاً كان هؤلاء وأولئك ينشدون معاً تجاوز الأنساق المفهومية التي تنهض على فكرة المركز والهامش والتراتبية والخطية، وتعويضها باللامركزية وتعدد الخطيات والنسيج والشبكة حتى لا نقول الفوضى الخلاقة. وبعيداً عن أي نزعة تفاضلية بين انفتاح النص الورقي ونظيره الإلكتروني، فإن الرغبة في تفجير بنيته واستقلاليته وانغلاقه وانكفائه على ذاته كانت في الواقع تحذوهما معاً. ولا شك في أن التقائية (convergence) نزوعهما في هذه النقطة بالذات، هي التي ستقودنا إلى اعتبار نظرية التقارب امتداداً بلاغياً إن صح التعبير للنظرية النقدية الجديدة، انسجاماً مع قناعة عبرنا عنها في البداية بوجود حياة سابقة للنص المترابط في شقه المفهومي قبل تمظهره الإلكتروني[7]. غير أن ما يثير الاستفهام ويجعلنا نتفهم

7) أشار (كليمون) ومعه (Landow) أيضاً و(Bouchardon) في وقت متأخر في مناسبات كثيرة إلى تلك التطلعات الثابتة عند كثير من المبدعين حين حاول بعض الروائيين منذ مدة طويلة التحايل على إكراهات السند الورقي لأجل خلق حوار مع القراء (Denis Diderot) أو لتشجيعهم على قراءة غير خطية لأعمالهم (Laurence Sterne) وكذلك (Mikhaïl Lermontov) في روايته "بطل من هذا الزمان". ولا يجب إغفال ما قامت به الرواية التجريبية الطليعية التي عصفت بكثير من مسلمات الكتابة الروائية مثل ما قام به (Italo Calvino) بخصوص مفهوم النهاية. كما أشار هؤلاء وغيرهم من المنظرين إلى طموحات العلماء وخبراء التوثيق والفلاسفة بإنشاء مكتبة أو موسوعة كونية مفتوحة ولا نهائية منذ (Wells) إلى (Nelson) مروراً بـ (Paul Otlet)

نسبياً قراءة (Archibald) هو اعتقاد (Landow) الراسخ بأن النص المترابط يضطلع بوظيفة اختبار أفكار نظرية الأدب، أي أن هذا النص هو ما يحدد فعاليتها وقابليتها للإنجاز؛ يقول (Landow, 1992, p.3) في مقدمة كتابه: "إن علاقة النص المترابط المعلوماتي بالنظرية النقدية لها أهمية متعددة الوجوه لعل أبرزها يكمن في أنها تَعِد بتنظير النص المترابط، كما هو شأن هذا النص الذي يعد أيضاً بتجسيدها، وإذن باختبار مظاهرها، وتحديداً تلك المتعلقة بالنصية والسرد وأدوار القارئ والمؤلف"، ويضيف "فباستخدام النص المترابط سيتوفر النقاد والمنظرون على مختبر جديد (...) حيث يمكنهم اختبار أفكارهم". بهذا الشكل يكون المنظّر قد عكس الآية، فعوض أن يكون النص المترابط "المتأخر" امتداداً لنظرية الأدب المتقدمة زمنياً، ولنص (Barthes) و(Umberto Eco, 1965) المنفتح تحديداً، وهو ما يمليه علينا منطق التاريخ وصيرورة أفكاره وتحولاتها، بتنا أمام تحدٍ معاكس ستظل بموجبه الجهود النظرية السابقة محض تخمينات وتنبؤات في انتظار هذا النص المترابط لكي تتنزل منزلة الواقع الملموس.

نتفق مع (Archibald) عندما يخلص في الأخير إلى أن دوافع غريمه الأمريكي هي أكثر جذرية مما تبدو عليه في الظاهر. فالغاية من عقد هذه المشابهة في نظره ليست هي البحث في نظرية الأدب عن أساس نظري أو عن جذور للنص المترابط، وإنما هي وضع مقترحاتها في دائرة النبوءات التي حقق هذا النص بدايتها الفعلية. وعليه لا يكون الأمر متعلقاً "بفهم إمكانيات النص المترابط انطلاقاً من النظرية، بل باقتراح يجعل من الترابطية النصية مؤولاً يمكن انطلاقاً منه فهم النظرية" (Archibald, 2009, p.51). إن ملاحظة الرجل هذه لا تخلو من وجاهة؛ فهو يتحفظ على آراء غريمه (Landow) حين يجعل من النص المترابط مؤولاً يتم عبره تقويم كل الخطابات النقدية حول النص، أو حين يجسد حرفياً إلى درجة الإحراج مفاهيم النص المنكتب عند (Barthes) ولامركزية (Derrida) وتناص (Mikhaïl Bakhtine) التي ظلت غامضة وملتبسة (George Landow, 1992, p.8). وتكمن خطورة هذا التوجه حسب رأيه في أنه يعفي صاحبه من مشقة فهم أفكار هؤلاء وما تخفيه من دلالات، وكذلك طريقة تلقيها في زمنها. لكن الحقيقة التي يجب التنبيه إليها في هذا السياق تتصل بالشق العملي وليس النظري في انتقادات الرجل الموجهة لنظرية التقارب؛ فناقدنا ينطلق من وضعية يمكن اعتبارها "بدائية" كان عليها النص المترابط، ومما أنتجه وأفضى إليه من أعمال إبداعية حددت تكنولوجيا نهاية القرن الماضي مستواها الفني وشكلها التعبيري. إنه تصور شبه حتمي للتقنية يستبعد فرضية تحول الوسيط الرقمي إلى شيء آخر غير ما كان عليه وقتئذ، كأن يقدم على سبيل الاحتمال تكنولوجيا أخرى مختلفة، وبيئة رقمية أكثر ملاءمة لإبداع مغاير. إن الأدب الرقمي في نظرنا يشكل حالة استثنائية حيث يتعذّر قياس بلاغته وتطور أشكاله استناداً إلى مواثيق الجنس الأدبي ولغة التعبير والبناء الفني وغيرها من المعايير المحايثة فقط، بل يظل بالضرورة مرتهناً في أشكاله الجديدة بالتطورات التكنولوجية التي تطال الجهاز أيضاً. وبمعنى أوضح، تشكل تحولات الأسناد الرقمية وبرمجيات الكتابة عموماً والإبداعية منها تحديداً، عاملاً حاسماً، بالإضافة إلى ما سبق، في تطور التجارب الإبداعية الرقمية. وتأسيساً على هذه الحقيقة الموضوعية، لا يجوز تقييم الشكل الفني لمفهوم النهاية بالاستناد إلى ما بلغته الرقمية آنذاك في تلك التجارب، أي الاحتكام إلى رؤية محددة في الزمن والمكان لتقييم جمالية متحولة، فما كان يتعذر على الروائي تحقيقه نهاية تسعينيات القرن الماضي، بات متاحاً من منظور الجهاز بعد ذلك بسنوات قليلة.

خلاصة

تزامن ظهور أول نظرية للنص المترابط في أمريكا في سياق عام تميز على الخصوص باتجاه التخييل الأدبي إلى مزيد من الانفتاح، وبنزوع نظرية الأدب الأوروبية ومنها الفرنسية إلى إسناد حرية أكبر للقارئ. وإذا كان هذا التزامن قد تجلى في أوج صوره خلال تسعينات القرن الماضي، فقد خلف نقاشاً كبيراً ما زال مستمراً إلى حدود الآن، تتباين فيه الآراء بين تحفظ وتأييد. وبعيداً عن تجاذب الآراء بخصوص سبق إحدى هاتين النظريتين إلى هذا الموقف أو ذاك، فلا يمكن تجاهل ما أفضى إليه من إرث نظري ونقدي زاخر ساهم بقصد أو بدونه في انتشار آراء نظرية التقارب ومواقفها، وتيسير استقبال هذا الوافد الجديد في صورته الأمريكية في القارة العجوز. لكن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي التغيير الجذري الذي أحدثه المقوم السيبرنطيقي في صورة المؤلف ووظيفته وأثره في النص. فلم يعد فعل الكتابة بمعناها الأدبي كافياً ليصبح الكاتب مؤلفاً رقمياً أو مؤلفاً سيبيرياً، بل عليه أن يكون مبرمجاً (بكسر الميم) أيضاً، أي أن يتقن لغة أخرى بعيدة عن ملكته الإبداعية واللغوية، وهي لغة البرمجة المعلوماتية. وبذلك صارت وظيفة القوام التقني منصهرة مع وظيفة المؤلف المبدع، ومساهمة بشكل من الأشكال في إنتاج النص الموجه للقراءة وفي تلقي النص المقروء. وإذا كان المؤلف الرقمي لا يستطيع إنتاج الأول، بصفته أثراً أدبياً مفتوحاً وحمالاً لممكنات نصية متعددة، إلا بفضل هذه اللغة، فإن القارئ بدوره غير قادر على تحقيق نصه الخاص بالفعل، إلا عن طريقها أيضاً. وعلى هذا الأساس نعيش اليوم مضاعفة وتكثيفاً لمفهوم انفتاح الأثر الأدبي، فلم يعد القارئ أمام عمل قابل لتعدد القراءات بالمعنى التأويلي فحسب، بل بالمعنى النصي أيضاً حيث يكاد لا يقرأ النص ذاته عند خوضه تجربة إعادة قراءة عمل من الأعمال الإبداعية الرقمية. وعلى الرغم من غنى النقاش الذي أثارته نظرية النص المترابط فإنه لا يخلو في نظرنا من صراع خفي بين اتجاه فرنكفوني ذو نزعة مركزية أوروبية لا تنظر إلى مقولات التطور والتجديد

و(Vannevar Bush) و(Douglas Engelbart). ويعكس عنوان عملنا الأخير "النص الرقمي، أصول المفهوم والتجليات الأدبية" الذي سيصدر قريباً هذه القناعة بشكل أوضح.

والتحديث إلا من كوة إرث فلسفي وتراكم نظري تم تكريسه تاريخياً عبر مراحل طويلة، واتجاه أمريكي ذو نزعة تجديدية متحررة من الماضي وأميل إلى تبني فكرة التعبير عن العصر بأدوات العصر حتى في أشد صورها التقنية.

وانسجاماً مع الغاية التي حددناها في بداية هذا المقال، وهي تقديم أول نظرية للنص المترابط للقارئ العربي، فإننا نقترح العدول عن اختزال النص الرقمي أو الترابطي في بعد تقني صرف، أي اعتباره مجرد نص ورقي يتزيّا بلباس تكنولوجي، بل يجب أن يُدرَك في بعده الفكري والفلسفي، وضمن سياق نشأته فكرةً وطموحاً وتطلعاً وجملةَ تصورات قبل ظهور المعلوميات، ثم تخلقه تدريجياً بموازاة تطورها، وصولاً إلى ما صار عليه في بعض تطبيقاته اللاحقة غير الأدبية في مرحلة أولى ثم الأدبية بعدها بوقت قصير. وبدون وعي بأطوار هذه الرحلة التي قطعها المفهوم ستظلّ استخداماته في ثقافتنا دون الانتظارات والتوقعات، وبعيدة عما يعد به من إمكانات.

ببليوغرافيا

- آيت حنا محمد، *الرغبة والفلسفة، مدخل إلى قراءة دولوز وغْوتاري*، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 2010.
- عمري إبراهيم، "النص الرقمي، أصول المفهوم والتجليات الأدبية"، دار الموسوعة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2024.
- عمري إبراهيم، *صور النص الرقمي، من التمثلات المعلوماتية إلى التجليات الأدبية*، مجلة باحثون، علمية محكمة فصلية تعنى بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن مؤسسة باحثون للدراسات والأبحاث والنشر، العدد الحادي عشر، 2020.
- عمري إبراهيم، *النص الأدبي الرقمي وتحديات التأويل: المحكي التخييلي التفاعلي من التواصل إلى التفاعل*، مجلة أبحاث معرفية، العدد الأول، 2012.
- عمري إبراهيم ومحمد الطاهري، *نص بلا ضفاف، حوار آن زالي وإيمانويل سوشي*، مجلة نقد وتنوير، العدد العشرون، 2024.
- كرام زهور، *الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية*، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.
- Alaman Ana Pano, (2004). «Le lien dans l'hypertexte de fiction : ouverture et clôture dans un récit multiple», Lexicometrica, n° 5.
- Angé Caroline (et al) (2015), Les objets hypertextuels : pratiques et usages hyper médiatiques, Londre, Editions ISTE.
- Archibald Samuel, (2009) Le texte et la technique. La lecture à l'heure des médias numériques, Montréal, Le Quartanier,.
- Barthes Roland, (1970). S/Z, Paris, Éditions du Seuil, collection : Tel Quel.
- Bélisle Claire, (2011). (Sous la direction de), Lire dans un monde numérique. Villeurbanne : Presses de l'ENSSIB, 2011. ISBN 978-2-910227-85-2. (Coll. Papiers)]. Documentation et bibliothèques, 58(2), 92–93. https://doi.org/10.7202/1028916ar.
- Bernard Michel, (1993). "Hypertexte, la troisième dimension du langage", Texte, 13/14, p.5-20.
- Bolter David Jay, Writing Space, (1991). The Computer, Hypertext, and the History of Writing, New Jersey : Lawrence Erlbaum Associates. Trad. Ph. Bootz.
- Boschetti Anna, (2014). Ismes : Du réalisme au postmodernisme, Paris, CNRS, coll. «Culture & société».
- Bouchardon Serge, (2012. Du récit hypertextuel au récit interactif, Bibliothèque nationale de France (B.N.F.) | « Revue de la BNF », 3 n° 42.
- Bouchardon, Serge. (2011). Des figures de manipulation dans la création numérique. Protée, 39(1), 37–46. https://doi.org/10.7202/1006725ar.
- Bourassa Renée, 2010, Les fictions hypermédiatiques, mondes fictionnels et espaces ludiques Des arts de mémoire au cyberespace, le Quartanier, Montréal.
- Chartier Roger, (1994). Du Codex à l'Écran : les trajectoires de l'écrit : Solaris Dossier no1 : Pour une nouvelle économie du savoir Rennes, Presses Universitaires de Rennes.
- Clément Jean, (1995). «Du texte à l'hypertexte : vers une épistémologie de la discursivité hypertextuelle», Hypertextes et hypermédias : réalisations, outils, méthodes, J.-P. Balpe, A. Lelu et I. Saleh (coords), Hermès, Paris.
- Clément Jean, (2000). «Hypertextes et mondes fictionnels ou l'avenir de la narration dans le cyberespace», http://archivesic.ccsd.cnrs.fr
- Clément Jean, (1994). Fiction interactive et modernité, Littérature, Paris, Larousse, Décembre, n°96.
- Clément Jean, Saemmer Alexandra, (2023). « littérature numérique », Encyclopædia Universalis [en ligne], consulté le 21 avril. URL : https://www.universalis.fr/encyclopedie/litterature-numerique/4-une-litterature-hypertextuelle/

- Clément Jean, (2004), « Hypertexte et fiction : une affaire de liens », Les Défis de la publication sur le Web : hyperlectures, cybertextes et méta-éditions, coordonné par J.-M. Salaün et Ch. Vandendorpe, Villeurbanne, Presses de l'ENSSIB.
- Clément, Jean. (2000). Hypertexte et complexité. Études françaises, 36(2), 39–57. https://doi.org/10.7202/005256ar.
- Debeaux Gaelle. (2015). L'Hypertexte et ses prédécesseurs : cartographier un jardin aux sentiers qui bifurquent. Sens public, ffhal-01785868.
- Ertzscheid Olivier . (2002). L'hypertexte : haut lieu de l'intertexte, sur : http://www.larevuedesressources.org/article.php3?id_article=27.
- Ertzscheid Olivier. (2003). De la note de bas de page au lien hypertexte : philosophie de l'identique et stylistique de l'ecart. La Licorne - Revue de langue et de littérature française, ffsic_00000998.
- Ferrer Daniel, (2007). «quelques remarques sur le couple intertextualité-genèse», dans la création en acte, devenir de la critique génétique, dir P. Gifford et M. Schmid, Amsterdam/New-York, Rodopi, coll. « Faux Titre, 289 ».
- Gervais Bertrand et Xanthos Nicolas, (1999). «L'hypertexte : une lecture sans fin », in Littérature, informatique, lecture. De la lecture assistée par ordinateur à la lecture interactive, A. Vuillemin et M. Lenoble, éds, Limoges : Pulim.
- Gervais Bertrand, (2006). «Richard Powers et les technologies de la représentation. Des vices littéraires et de quelques frontières», Alliage. Culture, science, technique, vol. 57-58.Voir aussi : http://revel.unice.fr/alliage/index.html?id=3571.
- Giffard Alain, (1997). Petites introductions à l'hypertexte, dans Banques de données et hypertextes pour l'étude du roman, sous la direction de Nathalie Ferrand, Paris, Presses universitaires de France, coll. «Écritures électroniques».
- Jeanneret, Yves. (2005). «Sémiotique de l'écriture». Entretien vidéo en ligne,
- Joyce Michael, (1991). « Notes Toward an Unwritten Non-Linear Electronic Text. "The Ends of Print Cultùre" », Postmodern Culture, vol. 2; no. 1.
- Kristeva, Julia. (1969), Semeiotike : recherches pour une sémanalyse, Paris, Seuil.
- Landow George Paul, (1992). Hypertext: The Convergence of Contemporary Critical Theory and Technology, Parallax (Baltimore, Md.), Johns Hopkins University Press.
- Le Crosnier Hervé, (1991). «Une introduction à l'hypertexte», Bulletin des bibliothèques de France (BBF), n° 4. En ligne : - https://bbf.enssib.fr/consulter/bbf-1991-04-0280-002 ISSN 1292-8399.
- Lévy Pierre, (1998). Qu'est-ce que le virtuel ?, Paris, La Découverte.
- Liénard Fabien et Zlitni Sami, (2021). Regards croisés sur la communication et la trace numériques, Presses universitaires de Rouen et du Havre, Mont Saint Agnan.
- Marcotte Sophie, Archibald Samuel, (2015). L'imaginaire littéraire du numérique, Montréal, Presses de l'Université du Québec.
- Marcotte, Sophie. (2000). «George Landow et la théorie de l'hypertexte», dans L'Astrolabe,
- Paveau **Marie-Anne,** (2016). «Des discours et des liens. Hypertextualité, technodiscursivité, écrilecture», *Semen* [En ligne], 42 | mis en ligne le 24 août 2017, consulté le 05 avril 2022. URL : http://journals.openedition.org/semen/1060 ; DOI : https://doi.org/10.4000/semen.10609.
- Riffaterre Michael, (1980). «La trace de l'intertexte», La Pensée 215, oct.
- Saemmer Alexandra, (2007). Matières textuelles sur support numérique, Université de Saint-Etienne.
- Saemmer Alexandra, (2015). Rhétorique du texte numérique : figures de la lecture, anticipations de pratiques, Villeurbanne, Presses de l'Enssib, cop.
- Emmanuël Souchier, Yves Jeanneret et Joëlle Le Marec (dir.), (2003). Lire, écrire, récrire : Objets, signes et pratiques des médias informatisés. Nouvelle édition [en ligne]. Paris : Éditions de la Bibliothèque publique d'information.
- Vandendorpe Christian, (2003). «Surfer dans un labyrinthe? Pour une ergonomie de l'hypertexte», in : Esthétique des arts médiatiques - Interfaces et sensorialité, Collectif, Presses de l'Université du Québec.

- Vandendorpe Christian, (1999). Du papyrus à l'hypertexte, Essai sur les mutations du texte et de la lecture, Montréal, Boréal / Paris, La Découverte.
- Vandendorpe Christian, (2009). La lecture en éclats, Argument, numéro 11 vol, 1, Hiver.
- Georges Vignaux, (2001). L'hypertexte. Qu'est-ce que l'hypertexte. Origines et histoire. http://www.mshparis.fr, ffedutice-00000004f.
- Weissberg Jean-Louis. (2001). Figures de la lectature. Le document hypermédia comme acteur. In: Communication et langages, n°130, 4ème trimestre. Dossier : Fonction éditoriale et Internet. pp. 59-69. doi : 10.3406/colan.2001.3107 http://www.persee.fr/doc/colan_0336-1500_2001_num_130_1_3107.
- Yellowlees Douglas et Hargadon, Andrew. (2000) «The Pleasure Principle: Immersion, Engagement, Flow», hypertext '00: proceedings of the eleventh acm on hypertext and hypermedia may 2000. https://doi.org/10.1145/336296.336354.